نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
مجلة شهرية
Issue No: 204 عدد:
August 2024 شهر آب
جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Παντοκράτορος Αγίου Όρους

دير پانتوكراتور العامر

للروم الأرثوذكس جبل آثوس - اليونان

العذراء بيروندسا العجائبيّة
وجرَّة الزيّت التي ملأتها

عيد الدير المركزي: التجلِّي الإلهي
في ٦ آب شرقي، الواقع في ١٩ آب غربي

أيقونة التجلِّي الإلهي
بريشة الرَّسّام ثيوفانيس الكريتي
النصف الأوَّل من القرن السادس عشر

يهتف مرنم الكنيسة قائلًا:« **لَمَّا تَجَلَّيْتَ أَيُّهَا المَسِيحُ الإِلَهُ عَلَى الجَبَلِ أَظْهَرْتَ مَجْدَكَ لِتَلامِيذِ حَسْبَمَا اسْتَطَاعُوا. فَأَشْرِقْ لَنَا نَحْنُ الخَطَأَةَ نُورَكَ الأَزَلِيَّ، بِشَفَاعَاتِ وَالِدَةِ الإِلَهِ، يَا مَانِحَ النُّورِ المَجْدُ لَكَ.**»

أيُّها الإخوة المحبوبون بالرَّبِّ يسوع المسيح،
أيها المسيحيُّون والزُّوار الأتقياء،

إنَّ النعمة الإلهيَّة **لإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح** قد جمعتنا اليوم في هذا **المكان المقدس جبل ثابور** لكي بِشُكرٍ نُعيِّد **لِتَجَلِّيهِ** سامعين لدعوةِ المرنم الذي يقول: «**هلمُّوا نصعد إلى جبل الرَّبِّ، وإلى بيت إلهنا، لنعاين مجد تجلِّيه كمجد وحيدٍ من الآب، ونستمدَّ نورًا بنوره. وإذْ نرتقي بالرُّوح، نُسبِّح على مدى الدهور، الثالوث المتساوي الجوهر.**»

إنَّ حدث تجلِّي مخلصنا **المسيح** يُشَكِّلُ حَدثًا، تمَّ فيه الكشْفُ عن عمق واتساع عظمة سرِّ التدبير الإلهي، سرّ خلاص الإنسان،السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ.(أفسس ٣: ٩)

إنَّ عظمةَ سرِّ التقوى (١تيمو ٣: ١٦) هو ظهور **المسيح** بالجسد، كما يكرز **الرسول بولس**: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢: ٥-٧).

إنَّ اعتراف **القديس الرسول بولس** هذا، يؤكِّد عليه بدقةٍ ناظم تسابيح الكنيسة، ويفسر بوضوحٍ السبب الذي لأجله صار تجلِّي **المسيح** إذْ يقول: «**لقد تجلَّيت أيها المسيح الإله على الجبل، فعاين تلاميذك مجدك بحسب ما استطاعوا. حتى أنَّهم لمَّا أبصروك مصلوبًا أدركوا أنَّ موتَكَ طوعيٌّ باختيارك. وكرزوا للعالم بأنك أنت شعاع الآب حقًّا.**»

وبكلام آخر عند تجلِّي **الرَّبّ** على هذا الجبل العالي، **جبل ثابور**، قد تمَّ الكشف فيه عن اقتران الناسوت باللَّاهوت في أقنومه. أي اتحاد الطبيعتين (الإلهيَّة والبشريَّة) في شخص **المسيح** والكشف أيضًا عن **مجد الله، أي شعاع الله الآب.** إنَّ الشُّعاع يعني البَهاء أو الإشراق كما يقول المرنم: «**لما اتَّحَدَتْ بالناسوتِ، الطبيعة التي لا تستحيل، كَشَفَتْ للرُّسل عن نور اللاهوت غير الهيولي المحجوب. إذْ أشرقتْ تَسْطَعُ على منوالٍ يُمتنع وصفه. وأيضًا: إنك وأنت كُلّك إلٰه صرت كلك إنسانًا. وقرنت الناسوت بِمِلءِ اللَّاهوت في أقنومك الذي رآه موسى وإيليا بجوهرين على جبل ثابور.**»

ويفسر **القديس غريغوريوس النيسي** أقوال المرنِّم قائلًا: «إنَّهُ كما يرتبط الشعاع بالشمس والمصباح بالنور الذي ينبعث منه، هكذا هو النور الذي يشرق من مجد الآب.»

ويستخدم **الأب القديس غريغوريوس النيسي** مثاله هذا لكي يوضح أن: ابن وكلمة الله، هو مساوٍ للآب والروح القدس في الجوهر لذلك فإن النُّور الذي يُشرق من الآب هو **نور الثالوث القدوس غير المخلوق** الذي لا يُدنى منه.

ويقول **القديس يوحنا الدمشقي** الذي اندهش وتحيَّر من سِرِّ التجلِّي قائلًا: «لأن الكلمة صار جسدًا والجسد كلمة، ولو أنَّ هذا «الكلمة» لم يخرج عن الطبيعة الإلهيَّة، فيا للمعجزة التي تفوق كُلَّ عقل!! فالمجد لم يأتِ إلى الجسد من الخارج بل من الداخل، من ألوهِيَّة كلمة الفائقة الألوهيَّة والمتحدة بالجسد بحسب الأقنوم على نحو يتعذر وصفه.»

ومن الجدير بالذكر إنَّه عند تجلِّي **يسوع المسيح** في هذا الموضع والمكان المقدس: أَضَاءَ وَجْهُهُ « **يسوع**» كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.(متى ١٧: ٢)، وأيضًا: «إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا» (متى ١٧: ٥).

وبحسب **القديس يوحنا الدمشقي**: إنَّ السحابة التي ظلَّلت يسوع ترمز إلى بهاء ولمعان الرُّوح القدس، إذ يقول :«وظلَّلتهم سحابة منيرة بإشعاع الرُّوح.» ؛ « وأمَّا الصوت الذي جاء من السحابة فإنَّ القديس يوحنا الدمشقي يقول: «إن صوت الآب قد خرج من سحابة الرُّوح «القدس» وقال: هذا هو ابني الحبيب. هذا هو إنسانٌ وذو مظهر إنسانيّ. هذا الذي تأنَّس أمس. هذا الذي في تواضعه قد تحادث معكم والذي قد تلألأ وجهه الآن، وأمَّا عن الوصيَّة والأمر الإلهي فله اسمعوا فيقول: «إنَّ من يقبلهُ يقبلني أنا الذي أرسَلَهُ، أبًا له وليس سيِّدًا، فَبِصِفَتِهِ إنسانًا هو مُرْسَلٌ، وأمَّا بصفته إلـهًا، فيبقى فيَّ وأنا فيه. ومن لا يُكَرِّمْ ابني الوحيد والحبيب لا يُكرِّمْ الآب، أنا الذي أرسَلَهُ فاسمعوا له. لأنَّ عنده كلام الحياة الأبديَّة.»

هذه هي خلاصة ما يُحتفل به، وهذا هو قوَّة ومعنى سرِّ التجلِّي.

إنَّ هذه القوَّة أي مجد ربنا يسوع المسيح، مدعوون نحن أيضًا أن نعاينها أيُّها الإخوة الأحبَّة، ليس بعيونِنَا الجسديَّة بل بالعيون العقليَّة للذِّهن الطاهر والقلب النقيّ: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ.» (متى ٥: ٨) كما يقول **الرَّبُّ**. لهذا فنحن مدعوون أيضًا أن نتمثَّل **بتلاميذ المسيح** الذين كانت عيونهم مثقلة بالنَّوم، ولكن بعد قليل استيقظوا وعاينوا مجده: «فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ.» (لوقا ٩: ٣٢).

فلنطرح نحن عنَّا أيُّهَا الإخوة الأحبة **ثقل نوم الضجر** ولننهض بنشاطٍ مع المرنم هاتفين: «فاشرق لنا نحن الخطأة بنورك الأزلي بشفاعات والدة الإله يا مانح النور المجد لك.»

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

القديسة مريم المجدليَّة

٢٢ تموز شرقي، الواقع في ٤ آب غربي

اليد اليُسرى للقديسة مريم المجدليَّة كنزٌ لا يقدَّر في دير سيمونسبيترا في جبل آثوس في اليونان

درجة حرارة اليد ٣٧ درجة مؤيَّة

تبرز **القدِّيسة مريم المجدليَّة** في العهد الجديد، كَأَهَمِّ شخصيَّة نسائيَّة بعد **العذراء مريم والدة الإله**. يَكرُرُ الإنجيليُّون الأربعة ذكرها، وغالبًا ما يتصدَّر اسمها قوائم النساء حاملات الطيب. سابَقَت خيوط الصباح يوح الأحد، وحَضَرت مع **العذراء مريم والدة الإله** ليلًا إلى قبر المخلِّص لِتُطَيِّب جَسَدَهُ المُقَدَّس، قبل أنْ تأتي النساء الأُخريات، فصارت شاهدة على قيامته. أخلَصَت جدًّا في محبَّتها **للمسيح**، فلم تتركه حين حوكِمَ من الكتبة والفريسيِّين زمن **رئيسي الكهنة حنان وقيافا**، وأيضًا حينَ صُلِبَ **ظُلمًا وحَسَدًا**، في حين تَرَكَهُ معظم التلاميذ ، وهي الوحيدة التي بَقِيَت عند صليبِ **الرَّبِّ** إلى جوار **العذراء مريم، والإنجيليّ يوحنا حبيب المسيح**. ومن بعد قيامته سجدت له، وأمسكت بقَدميه مع **العذراء** «وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ.» (متى ٢٨: ٩). وكان لها الفخر بأنْ تكون أوَّل من يحمل بُشرى القيامة المُفرحة، قيامة **الرَّبِّ يسوع** إلى الرسُل المختبئين خوفًا من اليهود. «...حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ بِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ..» (يو ٢٠: ١٩). لتقول لهم: أنا رأيتُ **الرَّبَّ** وهو حيٌّ إذ قام من بين الأموات، وسيصعد بالجسد القائم إلى السماء، إلى **الله الآب**، من حيثُ أتى. «فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيذَ أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ» (يوحنا ٢٠:١٨).

تبعًا لهذه الحادثة، سُمِّيَت: «رَسولةً للرُّسُلِ». كما أجمعت الكنيسة على تسميتها: «المعادلة للرُّسُلِ»؛لأنَّها بَشَّرت الرُسل بقيامة **المسيح**، وذهبت تُبَشِّر في **روما**، فوقفت أمام **طيباريوس القيصر** (١٤-٣٧م) حاملةً معها بيضة حمراء قائلةً: إنَّ **المسيح** قام حيًّا من القبر بسلطانه الذَّاتي، على نحو ما تخرجُ الحياةُ من البيضة. «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي». (يو ١٠:١٨). وقد صارَ عملها هذا متداولًا عند كُلِّ المسيحيِّين في تعييد الفصح المقدَّس.

استمرت بشارتها الحارَّة، في **روما** من مطلع الثلاثينات حتى الستينات

من القرن الميلاديّ الأول. عَمِلَت مع **القديس بطرس الرسول** حين جاءَ **روما** العام ٤٤م، وبعث لها **القدّيس بولس** بسلامِهِ في رسالته إلى أهل رومية. «سَلِّمُوا عَلَى مَرْيَمَ الَّتِي تَعِبَتْ لأَجْلِنَا كَثِيرًا.» (رومية ١٦:٦) التي كتبها نحو العام ٥٥م، إذ كانت تصرف من أموالها في سبيل البشارة هناك أيضًا. وبعدما غادرت **روما** ذهبَت لتنضَمَّ إلى **القديس يوحنا الإنجيلي** في أفسس، على قول **المؤرِّخ الفرنسي غريغوري أسقُف تور Gregory Tours** (٥٣٨-٥٩٤)

يقول في كتابه: **De Miraculis I,xxx**. هناك أنهت حياتها، ويقول البعض إنَّها نالت الشهادة من أجلِ الإيمان، في العام ٧٢ ، ودُفِنَت عند مدخل المغارة التي رَقَدَ فيها **فتية أفسُس السبعة**، المُعَيَّد لهم **في ٤ آب شرقي، ١٧ آب غربي**، وقد جرت على قبرها عجائب كثيرة.

نُقِلَت رُفاتها إلى القسطنطينيَّة في العام ٨٨٦م على عهد **الإمبراطور لاون السادس الحكيم (سوفيس)**، وَوُضِعَت في كنيسة **القدِّيس أَلِعازَر**، ومن ثَمَّ انتقلت الرُّفات إلى أوروبا (فرنسا وإيطاليا) عندما **سَبَى الصليبيُّون** ثروات المدينة وذخائر القديسين العام ١٢٠٤م، تمامًا ما حدث **من سبيٍ ونهبٍ وفتكٍ من العثمانيين** بعد احتلالهم القسطنطينيَّة في زمن **الامبراطور قسطنطين پاليالوغوس الحادي عشر**، بعد حصارٍ دام **ما بين، ٦ أبريل نيسان، لغاية يوم الثلاثاء ٢٩ أيَّار سنة ١٤٥٣م حسب التقويم اليولياني.**

(ملحوظة: يجب على كُلِّ رومِّي أرثوذكسيّ متمسِّك بالعقيدة السليمة، أمين للتقليد الآبائي الشريف، أَلَّا يبيع ضميره ولا إيمانه القويم، عَلَيْهِ أن يتذكَّر هذا اليوم، يوم سقوط القسطنطينيَّة، أمانة للتاريخ وللانتماء الرُّومي الأصيل وهو: يوم الثلاثاء ٢٩ أيار ١٤٥٣م شرقي).

ومن الجدير بالذكر، فقط **اليَدُ اليُسرى للقديسة مريم المجدليَّة** التي لامست بها جسد **السيِّد المسيح** المُمَجَّد الناهض من الموت، والغالب **لسلطان الجحيم**، هذه اليد بقيت حتى الآن من دون انحلال، محافظةً على حرارتها الطبيعيَّة **٣٧** درجة مئوية أو سِلِسْيُوس. أمَّا كيفَ وصلت هذه **اليد المقدَّسة إلى الجبل المقدَّس آثوس**، و **كيف صارت كنزًا لدير سيمونوس بيتراس**، فالمعلومات تلاشت بسبب فقدان مكتبة الدير ومخطوطاته التاريخيَّة، لِمَا تعرَّضَ له الدير من دمارٍ وتخريبٍ على يدِ **القراصنة والغزاة والحملات الصليبيَّة**، وما أوقعوه من دمارٍ وخرابٍ في هذا الجبل الأشم، الشريف حِصن الإيمان الرُّومي الأرثوذكسي الآبائي. (انظر مجلة شهر كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤، رقم ١٩٧؛ التي تشرح تفاصيل دير سيمونس بيتراس).

لكِنَّ النَّقشَ الذي على العُلبة الحالية الحافظة لِيَدها اليُسرى الذي يحتوي اليد المباركة تمَّ صَنْعُهُ في العام ١٦٤٤، وبأنَّ هذه هي **ذخيرة القدِّيسة حاملة الطيب والمعادلة للرُّسل مريم المجدليَّة**. (عِلمًا أنَّ اليد الشريفة كانت تُحفظ في قماش من المخمل قبل وضعها في علبة مميّزة).

دُعيَت **القديسة مريم بالمجدليَّة** نسبة إلى قريتها «مجدلة» (آثارها باقية حتى الآن في قرية تسمَّى « المجدل») الواقعة على الساحل الغربيّ لبحر الجليل (بحيرة طبريا)، على بُعد خمسة كيلومترات شمال مدينة طبريَّة باتجاه كفرناحوم.

سبعة شياطين !!!

لا نعرف شيئًا عن نشأة **القدِّيسة مريم المجدليَّة**، لكن يظهر أنَّها كانت إمرأة ثريَّة ومن طبقة أرستقراطيَّة، إذ انضَمَّت إلى تلاميذ **السيِّد المسيح** بعدما أخرج منها **سبعة شياطين**، وأعطاها الشفاء التَّام، وصارت تُواكِبُهُ في بشارة الملكوت وتبذُل من أموالها في سبيل ذلك، على غرار ما كانت تفعل نِساءٌ أُخريات مثل صديقتها حنَّة (يونا) إمرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنَّة (مرقس ١٥:١١ و لوقا ٨:٣). اللَّواتي كُنَّ مرافقات **للرَّبِّ** مع باقي التلاميذ. أوَّل ذكر لها في العهد الجديد ساقَهُ **البشير لوقا** عند كلامه عن **أنَّ الرَّبَّ يسوع** كان يكرز بمكلوت **الله** في القُرى والمدن كلِّها، ومعه إلى جانب الإثني عشر تلميذًا «وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ» (لوقا ٨:٢ ، وكذلك مرقس ١١:٩).

هذا التعبير الصعب «أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ» لم يدفع أحدًا إلى الظَنِّ بِأَنَّها كانت زانية قبل انضمامها إلى مرافقة **السيِّد المسيح** وتلاميذه، حاشا وكلَّا، فقد أشار **القديس غريغوريوس الكبير بابا روما** (٥٩١+)، في العظة ٣٣ من إنجيل يوحنا **76 ,1238D Col-1239A P.L.** إلى أنَّ السبعة شياطين هي الرذائل السبع. **والقديس أمبروسيوس أُسقف ميلان** (٣٩٧-٣٤٠م) يذكرها بين الطاهرات عند كلامه عن العفَّة (٣:١٤ و ٤:١٥)، ولا يُشير مُطلقًا إلى كونها هي الزَّانية التي دهنت رِجْلَي **الرَّبِّ** بالطيبِ وقبَّلتهُما طلبًا للغفران، في بيت سمعان الفريسيّ (لوقا ٧:٣٧-٥٠). كذلك يُفَرِّق **القديس غريغوريوس النِّيسي** (٣٣٥-٣٩٥م) في العظة الثانية على القيامة، **والقديس يوحنا الذهبي الفم** (٣٤٠-٣٩٧م) في العظة ٨٨ على متَّى، بين **الزانية** في لوقا ٧، **ومريم المجدليَّة، ومريم أُخت لعازر ومرثا** التي من بيت عنيا.

القديس موديستوس، بطريرك أورشليم (٦٣٢-٦٣٤) (هامته المكرَّمة موجودة كذخيرة مقدَّسة في دير سيمونوس بيتراس في جبل آثوس، أنظر مجلة عدد ١٩٧)، يؤكِّد عند شَرحِهِ لآية (لوقا ٨:٣) **طهارة المجدليَّة واستشهادها**، إذ يقول: «تُنسَب الرمزيَّة في استخدام رقم ٧، إلى الفضائل كما إلى الرذائل. وعلى الأغلب، إنَّ ما يُقال في مريم المجدليَّة إنَّ السيِّد المسيح أخرَجَ منها سبعة شياطين، يعني أنَّ المخلِّص أخرَجَ منها أمير الشرّ (الشيطان) إذ أخرجه من الطبيعة البشريَّة. لأنَّ الروايات تنقُل لنا إنَّ المجدليَّة كانت عذراء طيلة حياتها. ويُقال أيضًا عند استشهادها، أنَّه بسبب عُذريتها ونقاوة طهارتها، رآها الجلَّادون «كاللؤلؤة النقيَّة» **P.G. Migne Col 104 , 244 .**

ويقول **القديس ثيوفان أُسقف كيراميس Kerameus–كالِبريَا، إيطاليا** ، (١١٢٩-١١٥٢) في العظة ٣١ على الإيوثينا الرابعة (إنجيل السَّحَر): « لا يَحسَبَنَّ أحدٌ أنَّ المجدليَّة كانت مسكونة من سبعة شياطين. لكن: كما تُسَمَّى نِعَمُ الرُّوحِ القُدُس أرواحًا سبعًا، ويعدِّدها إشعياء النبيّ: « رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.» (أش ١١:٢).

هكذا على عكسها تُسَمَّى **قِوَى الشياطين**: « النجاسة، الزِنَى،

البخل، الحسد، الغضب، الكسل، الكذب وعدم الإيمان»، وكُلّ هوى يتماشى مع الشياطين التي ابتَدَعَتْهُ. لذلك فكُلُّ مَن تَسَلَّطت عليه الأهواء مربوطٌ بالشياطين. على ذلك لا يعود الاحتمال مُستبعَدًا أو مستحيلًا أنَّ مريم المجدليَّة كانت واقعة تحت تأثيرِ أهواءٍ سبعة، ولكنَّ المسيحَ حرَّرها منها، فصَارت من بعد شفائها تلميذةٌ مخلصة للسيِّد المسيح.» **(641 - 648 .P.G 123 , Col)**

والقديس ثيوفيلاكتوس البلغاري أُسقف أُوخريد (١٠٥٥-١١٠٧) يتَّفق مع **القديس ثيوفان**، في تفسيره **لإنجيلِ القديس لوقا**، فيقول في الرسالة ١٣:٤١ «كما أنَّ هناك أرواحًا سبعًا للفضائل، هناك في المقابل أرواحٌ سبعٌ للشرِّ. فروح مخافة الله، تعاكسها روح عدم مخافة الله، وروح الفهم تعاكسها روح عدم الفهم، وهكذا مع البقيَّة. فإنْ لم تُغادر هذه الأرواح الشريرة السبعُ من إبليس، يستحيل على أيِّ إنسان أن يتبَع المسيح. إذ يجب ٱقتلاع إبليس أولًا من الإنسان لكي يسكنه المسيح». **(797 P.G. AB 125 , Col)**

واضحٌ إذًا أنَّ **مريم المجدليَّة** ليست هي **الزانية**، لكنها كسائر الناس كانت مُقَيَّدة بالأهواءِ، فأعتقها **المسيح** منها لتصيرَ له بالكليَّة.

هل لمست القديسة مريم المجدليَّة المسيح القائم من بين الأموات؟ وماذا حصل صباح يوم الأحد المجيد؟

* نعرف من بشارة الإنجيليّ (متَّى ٢٨:١-٤)، ومن بشارة الإنجيليّ (يو٢٠:١)، أنَّ **مريم العذراء والدة الإله، ومريم المجدليَّة**، من شِدَّةِ اشتياقِهما إلى **الرَّبِّ** كانتا أوَّل الواصلين إلى القبر المقدَّس، **والظلام** لم يَزَل مُخَيِّمًا. **الرَّبُّ** قد قام، والقبر فارغٌ، ولكن لا أحد من الناس يعلم. **ملاك الرَّبِّ** يُدَحرج الحجر عن باب القبر. يهرب الحُرَّاسِ من شِدَّة الخوفِ. تقف **العذراء مع المسيح** القائم حَيًّا.

* ترى **مريم المجدليَّة** باب القبر مفتوحًا (الحجر قد دُحرج)، فتُسارع لِتُخبر التلاميذ: أنَّ أحدًا سَرقَ السيِّد، تارِكَةً **العذراء مريم** وحدها عند القبر (يوحنا ٢٠:٢-٤).

* تصل نساء أُخريات مع طلوع الشمس إلى القبر، فيرينَ الحجر قد دُحرِج (مرقس ١٦:١-٤ ، و لوقا ٢٤:١-٢).

* تدخُلنَ القبر ويتحدَّث إليهن ملاكان (واحد في الداخل والآخر في الخارج)، ويطلب الملاكان منهُنَّ إخبار التلاميذ **بإنَّ الرَّبَّ** قد قام (متى ٢٨:٥-٨ ، و مرقس ١٦:٥-٨ ، و لوقا ٢٤:٣-٨).

* يستفيق الحُرَّاس، وينتابهم الذهول، ويُهرولون إلى رؤساء كهنة اليهود ليخبروهم بالعجَب الحاصل، فيُرتشَى الجنود بمالٍ كثير **(من رؤساء الكهنة)** ليقولوا أنَّ تلاميذه سرقوه.

* يصل **بطرس ويوحنا** إلى القبر فينظران الأكفان ملفوفةً، وكُلَّ جزءٍ منها على حِدَةٍ. ثمَّ يُغادران بذهولٍ وحيرةٍ.

* **مريم المجدليَّة** التي عادت معهما (مع بطرس ويوحنا) تبقى وحدها خارج القبر تبكي وتنوح. وفيما هي تبكي، تنحَني لتنظر داخل القبر، لِتَتَعَزَّى برؤية القبر من الداخل، حيث كان جسد **الرَّبّ** الحبيب مُسَجَّى، فترى **ملاكين**، فتظنُّهما شابَّين جالِسَيْن الواحدَ عند مكان الرأس، والآخرَ عند القَدَمين. يسألانها عن سبب بكائها ومَن تطلب. فتكشف حيرتها وحسرتها على أنَّ جسد سيِّدها قد سُرق.

* فيما تجاوبهما، ترى تخشُّعًا يعتري الملاكين، فتلتفت إلى خلفها لترى سبب ارتعاب الشَّابين (الملاكين). ترى رَجُلًا فتظنُّهُ البُستاني. يسألها هو بدوره عن سبب بُكائها، ومَن تطلب. فتُجيبه كما أجابت الملاكَيْن.

* وفيما هي تجاوبه تُشيحُ بنظرها إلى الملاكين، فيُناديها **الرَّبُّ** باسمها. للحالِ عَرَفتهُ وصرخت: «يا مُعلِّمي» ، «ربُّوني»، وارتمت عند قدميه، وامسكتهما وقبَّلتهما. (مر ١٦:٩، متى ٢٨:٩ ، يو٢٠:١١-١٩).

* يقول **الرَّبُّ** لها: « لا تلمسيني بعد»، ها قد تحقَّقْتِ من قيامتي فعلًا، فَكُفِّي عن الإمساك بي لأنَّ هذا لن يمنع صعودي إلى أبي. وأنا أُكَلِّفُكِ الآن بنقل خبر القيامة لإخوتي (تلاميذي). قولي لهم: « إنِّي ماضٍ إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم.» في هذا المشهد **كانت مريم المجدليَّة مع العذراء مريم أمام الرَّب ساجدتين**. «وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ.» (متى ٢٨:٩).

* تسارع **مريم المجدليَّة** لتنضمَّ إلى باقي النسوة حاملات الطيب، في تبليغ الرُّسل **بأنَّ الرَّبَّ** قد قام حقًّا، وأنَّه ظهر لها وحمَّلها رسالةً لهم. (مرقس ١٦:١٠-١١ ، لوقا ٢٤:٩-١١).

* يظهر **الرَّبُّ** للتلميذَيْنِ **لوقا وكليوبا** وهما سائران على طريق عمواس، فعادا سريعًا إلى أورشليم، ليُخبرا الرسُل المختبئين في العليَّة. (لوقا ٢٤:١٣-٣٥).

* يظهر **الرَّبُّ لبطرس** (لوقا ٢٤:٣٤).

* يظهر الرَّبُّ مرَّتين للرُّسل بدون الرسول توما، وبعد ثمانية أيام يظهر للرسل ويطلب من الرسول توما جسَّ يديه وجنبه. (يوحنا٢٠)، (هذا الإصحاح يشمل معظم التفاصيل.)

صلوات وشفاعات القديسة مريم المجدليَّة تكون معنا دائمًا. آمين

من أقوال القديس بورفيريوس الرَّائي

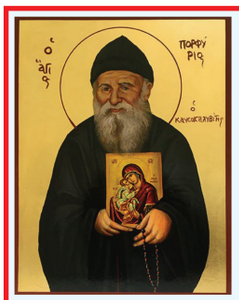

† لا تغرق في ما يحدث، لكن أنظر بالأحرى إلى النور، أي إلى المسيح، بالضبط كما ينظر الأطفال إلى أمهاتهم عندما يحدث أي شيء. أنظر إلى كلِّ شيء من دون قلق أو هم أو تعقل، من دون أن تشعر أنك في الضيق. فبهذه الطريقة وبدل أن تستسلمَ الى الهمِّ الذي ليس من روح الله، ستسلِّم نفسك إلى تمجيده.

† مغبوط هو الإنسان الذي يُحبُّ الجميع دون أن يطلب المحبة من الآخرين، ودون أن يهتم إذا كانوا يحبُّونه أم لا .

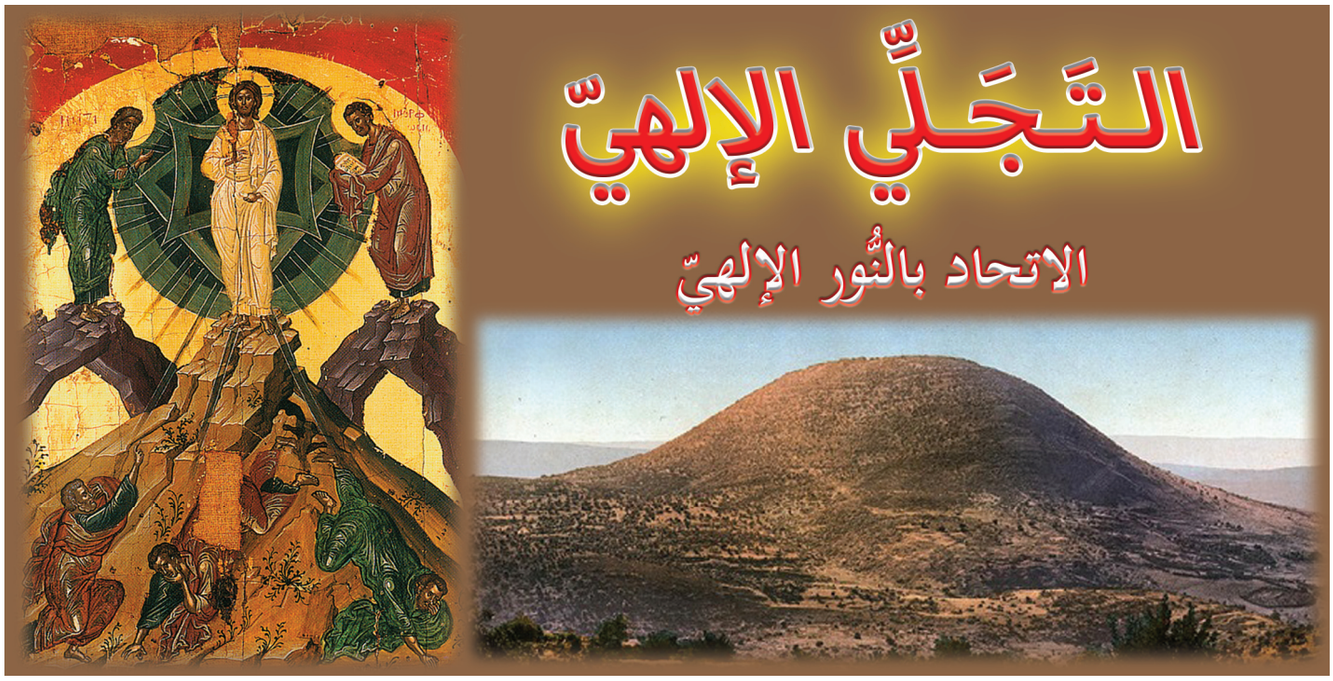

التَجَلِّي الإلهيّ

الاتحاد بالنُّور الإلهيّ

التعليم عن الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق هو تعليم أرثوذكسي سليم موجود في صُلب الكتاب المقدس والتقليد الرسولي والآبائي، حيث نذكر تجلِّي إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بنوره الإلهي غير المخلوق على جبل ثابور أمام تلاميذه: بطرس ويعقوب ويوحنا، وإيليا وموسى.

تجلي السيِّد المسيح على جبل تابور:

يقول الكتاب: «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هٰهُنَا فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ» (إنجيل متى ١٧: ١-٤).

وهكذا ستتجَلَّى أجسادنا بهذا النُّور العجيب، مثل تجلِّي جسد المسيح أمام تلاميذه في المجد والملكوت.

اختبار بطرس الرسول للنُّور الإلهي:

ولقد اختبر القديس بطرس الرسول النُّور الإلهي غير المخلوق وشهد عن ذلك قائلًا: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهٰذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى : هٰذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ. وَنَحْنُ سَمِعْنَا هٰذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ» (رسالة بطرس الثانية ١: ١٦-١٨).

اختبار بولس الرسول للنُّور الإلهي:

كما اختبر القديس بولس الرسول هذا النُّور الإلهي غير المخلوق وشهد عنه قائلًا: «فَحَدَثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوَ نِصْفِ النَّهَارِ، بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ» (أع ٢٢: ٦).

اختبار القديس استفانوس للنُّور الإلهي:

كما اختبر القديس استفانوس أول شهداء المسيحيَّة مجد هذا النُّور الإلهي غير المخلوق وشهد عنه قائلًا: «وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ» (أعمال الرسل ٧: ٥٥).

اختبار القديس يوحنا الرسول للنُّور الإلهي:

واختبره أيضًا القديس يوحنا الرسول وشهد عنه قائلًا: «وَهٰذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ.» (رسالة يوحنا الأولى ١: ٥-٦).

اختبار القديس كيرلُّس الإسكندري للنُّور الإلهي:

لقد تحدَّث القديس كيرلُّس الإسكندري الذي اختبر الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق وقال عن هذا الاختبار: «فنحن دُعِينا من الظلمة إلى نوره العجيب. وإذا كان هذا حقًّا، فالمخلوق ليس حقًّا هو النُّور، بل الابن وحده بالحقيقة وبالضبط هو النُّور، أمَّا المخلوقات فهي تصير نورًا باشتراكها فيه، ولذلك فهي ليست من ذات طبيعته». **(تفسير إنجيل يوحنا ج١، تَرْجَمَة: د. نصحي عبد الشهيد وآخرين).**

اختبار القديس غريغوريوس اللاهوتي للنُّور الإلهي:

ثم يتحدَّث القديس غريغوريوس اللاهوتي عن اتحادنا بالنُّور الإلهي غير المخلوق كالتالي:

١) «لنُصبح نحن نورًا، كما سمع التلاميذ من النُّور الأعظم قوله لهم: أنتم نور العالم، بل ولنصر كأنوار في العالم، نُضيء بين الأمم كما قال بولس الرسول في (الرسالة إلى فيلبي٢: ١٥) ، نحن قُوَّة حيَّة للآخرين. فلنتخذ شيئًا من الألوهة ولنقتبس نورًا من النور الأول. لِنَسِر نحو إشعاع هذا النور قبل أن تحجب بيننا وبينه الظلال».

٢) «ولكي تتقدموا أنتم كأنوار كاملة أمام النُّور الكبير، وأنْ تدخلوا

إلى موكب النُّور النابع من النُّور الكبير متَّخذين من النُّور الأبهَى والأنقَى، نور الثالوث الذي قبلتموه صُبحًا من أصباح الألوهة الواحدة **لشخص ربنا يسوع المسيح**».

(مختارات من القديس غريغوريوس اللَّاهوتي النزينزي، تَرْجَمَة: الأسقف استفانوس حداد).

ويتحدث:

القديس غريغوريوس اللاهوتي عن الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق قائلًا:

«إنه ينزل من الأعالي حيث مقرُّه لكي ما تدخل إليه –إلى حدٍّ ما– الطبيعة المخلوقة».

(B 637 :36 PG .11 :45 Homily).

اختبار القديس باسيليوس الكبير للنُّور الإلهي:

كما يتحدَّث القديس باسيليوس الكبير عن اختبار النُّور الإلهي غير المخلوق لفهم وإدراك الإلٰهيات، وإنَّهُ دون الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق لا يمكن أن تفكر النفس بصورة سليمة كالتالي:

«لأنه تمامًا كما هو النُّور المحسوس بالنسبة للعين، هكذا **الله** الكلمة بالنسبة إلى النفس، لأن الكتاب المقدس يقول: «كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ.» (يوحنا١ : ٩). وبناءً على ذلك، فإنَّ النفس التي ليس فيها نور، لا تستطيع أن تفكِّر بشكلٍ صحيح [...] وأن يقتربوا من هذه الولادة من خلال إشراقة النُّور الإلهي».

(القديس باسيليوس الكبير،ضد أفنوميوس، تَرْجَمَة: د. سعيد حكيم)

ثم يتحدَّث القديس باسيليوس الكبير في موضع آخر عن اتحادنا وتلامسنا مع بهاء الألوهة والاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق كالتالي:

«هؤلاء يوصيهم أنْ يقتربوا من الرَّبِّ، ويتلامسوا مع بهاءِ ألوهِيَّتِهِ، حتى أنهم بهذا الاقتراب، بعدما يستنيرون بنور الحقيقة، يقبلون داخلهم هذا النُّور بواسطة النعمة، وكما هو الحال بالنسبة إلى النُّور المحسوس، فهو لا يُشرق على الجميع بطريقة واحدة، بل يشرق فقط على الذين لهم أعين، وهم في حالة يقظة».

(القديس باسيليوس الكبير ، تفسير سفر المزامير ج١ ، تَرْجَمَة: د. سعيد حكيم).

اختبار القديس غريغوريوس النيسي للنُّور الإلهي:

يتحدَّث القديس غريغوريوس النيسي عن اتحادنا بالنُّور الإلهي غير المخلوق كالتالي:

«إنَّ نور الحقِّ يَسْطَعُ علينا نحن الذين نواصل السير في هذا المساء الهادئ في الحياة، وينير أعين أرواحنا بأشعته. هذا الحقّ الذي تجلَّى لموسى بنورٍ غامض لا يُوصَف ولا يُنطَق به **هو الله**».

(القديس غريغوريوس النيسي، حياة موسى، تَرْجَمَة: مجدي فهيم حنا).

ثم يتحدث القديس غريغوريوس النيسي عن اختبار القديس استفانوس للنُّور الإلهي غير المخلوق، الذي هو مثال لاتحادنا بالنُّور الإلهي غير المخلوق كالتالي: «كيف رأى استفانوس مجدَ الله؟ مَن الذي فتح له أبواب السماء؟ تُرى هل هذه النِعَم مُحصِّلة قوَّة إنسانيَّة؟ هل ملاك أصعدَ طبيعتنا التي كانت تنظُر إلى أسفل، إلى ذلك السُمُّو؟ لم يحدث أي شيء من كُلِّ هذا. فكُلّ ما له علاقة بهذه القصة، لم يذكر شيئًا مثل هذا، بمعنى أنَّ استفانوس لم يرَ ما رآهُ لأنَّه كان قويًّا للغاية، أو لأنَّهُ نال معونة كاملة من الملائكة. فماذا قال النَصُّ الإنجيلي؟ قال: «وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ.» (أع٧:٥٥). لأنَّهُ من غير الممكن، كما يقول داود النبي، أن يرى أحد النُّور، إنْ لمْ يكن قائمًا داخل النُّور: «بِنُورِكَ نُعَايِنُ النُّورَ» (مز٣٥:٩). لأنَّه من المستحيل رؤية النُّور خارج النُّور. أي كيف يمكن للمرء أنْ يرى الشَّمس، وهو موجود بعيدًا عن أشعتها؟ لأنَّ نور الابن الوحيد الجنس هو داخل نور الآب، أي داخل الرُّوح القُدس المنبثق من الآب، لذا بعدما امتلأ (أي استفانوس) أوَّلًا من الرُّوح القُدُس استنار، حينئذ أدرك مجد الآب والابن».

(القديس غريغوريوس النيسي، استفانوس أول شهداء المسيحية، تَرْجَمَة: د. سعيد حكيم).

اختبار القديس ديونيسيوس الأريوباغي للنُّور الإلهي:

يتحدث القديس ديونيسيوس الأريوباغي عن خبرة اتحادنا بالنُّور الإلهي غير المخلوق كالتالي:

«من جهتي، فهذا ما أصلِّي به، أمَّا أنت أيُّها العزيز تيموثاوس، انشغل بشدَّة بالرُّؤى السِّرِيَّة، اترك الأنشطة الحسيَّة والذهنيَّة، وَكُلَّ ما يخصُّ الحواس والعقل، وَكُلَّ الموجودات وغير الموجودات (**نضعها جانبًا**)، وَتَرَفَّعْ غَيْرَ مستندٍ على معرفةٍ حتى تَتَّحِدَ قدر المستطاع، بِمَنْ هو أعلى من كُلِّ جوهر ومن كُلِّ معرفة. عندما تصل إلى الدَّهَشِ، حيث تتحرَّر بالكلِّيَّةِ من ذاتك، من كُلِّ الأشياء، عندما تنزع عنك كُلَّ شيء، وَتَعْفِي نفسك من كُلِّ شيء، سوف ترتفع إلى الشعاع الفائق الجوهر **للظلمة الإلهيَّة**».

(ديونيسيوس الأريوباغي، اللاهوت الباطني، تَرْجَمَة: د. جورج فرج).

ملحوظة: في كتاب «اللاهوت الصوفي حسب القديس غريغوريوس النيسي»، يشير الى مصطلحات استعملها القديس غريغوريوس النيسي في: تفسير سفر النشيد، وحياة موسى، وعن النفس والقيامة. وكيف وردت كل مصطلحات الصوفيَّة عند النيسي، مثل: السِّر، قدس الأقداس (بمعنى أسمى درجات الصلاة)، العتمة أو الظلمة الإلهية، والحبّ (العشق)، الانخطاف (الدهش)، الانعتاق من الذات، وسُكر الروح المعتدل.. إلخ.

اختبار مار اسحق السوري للنُّور الإلهي:

يتحدث مار اسحق السوري عن خبرة معاينة النُّور الإلهي غير المخلوق، وكيف ندرك هذا النُّور الإلهيّ العجيب بعيون نفوسنا الرُوحيَّة كالتالي:

١) «إنَّ لنفسنا حَدَقَتَيْن، ولكن النظر الخاص بكُلٍّ منهما يختلف استعماله عن الآخر. فبإحدى هاتين الحدقتين نعاين أسرار الطبيعة، أعني قوة الله وحكمته وعنايته بنا، وندركها بفضل الجلال الذي يقودنا به. ونعاين بالحدقة الأخرى مجد طبيعته المقدَّسة حين يرتضي الله إدخالنا إلى الأسرار الروحيَّة».

٢) «الرجل النقيُّ النفس هي داخله. والشَّمس التي تُشرق داخله هي نور الثالوث القدوس. الهواء الذي يستنشقه سكان تلك البلدة هو

الرُّوح القُدُس المعزِّي وكلِّيُّ القداسة. والذين يسكنون معه هم الطبائع المقدسة الرُوحانيَّة. **المسيح هو نور الآب**، هو حياتهم، وفرحهم، وسعادتهم. مثل هذا الإنسان يبتهج كل ساعة بالرُّؤى الإلهيَّة داخل نفسه، وَيَسْحَرُهُ جمالُها الخاصّ الذي هو بالحقِّ أبهى مئة ضعف من لمعان الشَّمس نفسها. هذه هي أورشليم وملكوت الله المختفي داخلنا، كما يقول الرَّبُّ. هذا العالم هو سحابة مجدِ الله التي لا يدخلها إلَّا أنقياء القلب ليروا وجه سيِّدهم وليستنير عقلهم بشعاع نوره».

(72 St. Isaac of Syria, Homily)

(مار اسحق السوري، الميامر النسكية، تَرْجَمَة: نيافة الأنبا سارافيم).

كما يتحدَّث مار اسحق السوري عن كيفية الوصول إلى الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق من خلال الصلاة التي نصليها كالتالي:

«وإذ يتَّخذ الرُّوح القُدُس مادة من صلاة الإنسان التي يصليها، يتحرك داخله، وتفقد بذلك صلاة الإنسان حركتها في أثناء الصلاة، ويرتبك ذهنه، ويُبتلَع في الدهش والانذهال، وينسى حتى الرغبة فيما كان يتوسل بشأنه. تغطس حركات العقل في سُكْرٍ عميق، ولا تَعُد في هذا العالم في مثل هذا الوقت، لا يوجد تمييز بين النفس والجسد، كما لا يوجد تَذْكار لأيِّ شيء، تمامًا كما قال **العظيم غريغوريوس اللَّاهوتي**: الصلاة هي نقاوة الذِّهن، وهي تنتهي فقط بواسطة نور الثالوث القُدُّوس من خلال الدَّهش والانْذِهال. هل رأيت كيف تنتهي الصلاة من خلال الدَّهش بالمفاهيم التي **ولَّدَتْهَا** الصلاة في العقل، كما قلت في بداية هذا الميمر وفي مواضع أخرى عديدة؟

ملحوظة: «ميمر» هي كلمة سريانيَّة معناها (قول) وهو مقال أو سيرة قديس، والجمع هو ميامر (الميامر). وهي قصيدة تُقْرَأ ولا تُنْشَد، وتكون تعليميَّة قصصيَّة.

ويكتب أيضًا نفس هذا **القديس غريغوريوس**: نقاوة العقل هي التحليق السَّامي والمرتفع للقُدرات الذِهنِيَّة، وهي تشبه منظر السماء، وهي التي يشرق عليها ومن خلالها نُور الثالوث القدوس وقت الصلاة».

(مار اسحق السوري، الميامر النسكية، تَرْجَمَة: نيافة الأنبا سارافيم).

اختبار القديس يوحنا الدلياتي (يوحنا سابا) للنُّور الإلهي:

يتحدَّث القديس يوحنا سابا الدلياتي عن كيفية الاتحاد بالنُّور الأقنومي غير المخلوق وأثره في الذِّهن البشري والنفس البشريَّة كالتالي:

«لهذا يدعو الرُّوح الذِّهن النشيط إلى الدخول، بعد أنْ تعبت حركات قوَّاته الناظرة من الشُّخوصِ، لترى ذاك الذي في الكُلِّ والكُلُّ فيه. وإذا أقام الصلاة، يرى إشراق أُقنومه، ويضيء النفس حُسن طبعها، وترى ذاتها على ما هي، والنُّور الإلهي الذي يشرق فيها، الذي يُدِلُّها إلى مثاله، ويرتفع مثال طبعها من أمام رؤيتها، وترى هي ذاتها مثالًا للهِ، بواسطة اتحادها بالنُّور الذي لا مثيل له، وهو نور الثالوث القُدُّوس الذي يشرق في أقنومها، فتغطس في أمواج حُسنِها، وتندهش مدةً طويلةً. وأحيانًا تنتقل من منظر إلى منظر، وتتبدَّل تبدلات عجيبة لا تُحصَى في وقت قليل».

(يوحنا الدلياتي (الشيخ الروحاني)، مجموعة الميامر الرُوحيَّة، تَرْجَمَة: الأب سليم ذكاش اليسوعي).

اختبار القديس يوحنا الذهبي الفم للنُّور الإلهي:

يتحدَّث القديس يوحنا الذهبي الفم عن معاينتنا للنُّور الإلهي غير المخلوق، وخبرة إشعياء النبي لهذا النُّور الإلهي في رؤياه كالتالي:

«السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ». (إش٦: ٢-٣). بالحقيقة هو قدوس لأنَّهُ جعل طبيعتنا مُستحقَّة هذه الأسرار الكثيرة والعظيمة، وصيَّرنا شركاء هذه الأمور التي لا تُوصَف، لقد استوى عليَّ الفزع والرِّعدة (المقدسة) في أثناء إنشاد هذه التسبحة، وما يدعو للعجبِ أنَّ هذا يحدث لي، أنا الطين المصنوع من تراب، في اللحظة التي فيها حتى القوات السماويَّة تأخذها الدَّهشة العظيمة والدَّائمة؟ لذلك يديرون وجوههم ويغطونها بأجنحتهم كمثل ساترٍ (واقٍ أو حاجب)، لأنهم لا يستطيعون تحمُّل اللَّمعان المُنبعِث من هناك. وبالرَّغم من أنَّ المشهد (الرؤيا) –كما يُقال– كان يمثِّل تنازلًا للطبيعة الإلهيَّة. فلماذا إذًا لا يحتملون؟ فهل تسألني أنا ذلك؟! سَلْ أولئك الذين يريدون أنْ يفحصوا الطبيعة غير الموصوفة وغير المقترب منها، أولئك الذين يتجرَّؤون على ما لا يمكن التجرُّؤ عليه [...] بينما تجاسَرَ الإنسان أنْ يتكلَّم أو بالحريِّ أن يُفكِّر بعقله في أنَّه يقدر أن يَتَطلَّع بدقَّةٍ وبوضوحٍ إلى تلك الطبيعة الإلهيَّة البسيطة».

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم في نفس السياق:

«لأنه يقول: باثنين يُغطي وجهه (سفر إشعياء٦: ٢). كأنهما ستارتان تُغطيان وجهه، لأنهما لا يتحمَّلان شدَّة اللَّمعان المنبعث من ذلك المجد. وباثنين يغطي رِجْلَيْهِ (سفر إشعياء٦: ٢) تحت تأثير نفس الانبهار، لأنَّنا أنفسنا عندما يُسلَّط علينا جسمٌ باهر، فإننا ننكمش ونخفي كل مكان في جسدنا. ولماذا أتحدَّث فقط عن الجسد، مادام أنَّ النفس ذاتها، عندما يحدث لها ذلك الأمر في تجليَّاتها السَّامية، تجذب كل طاقاتها، ثم تجمع ذاتها ضاغطةً إيَّاها بعمقٍ في الجسد كما لو كان هذا الجسد مَلْبَسًا لها؟ وحين يسمع أحدٌ الاندهاش والانبهار لا يظن أنَّنا نتحدث عن صراع مُقزِّز للنفس، لأنَّه مع هذا الاندهاش توجد نشوة ممتزجة به لا تُحتمل من عظمتها. وباثنين يطيرون (سفر إشعياء٦: ٢)، وهذا يدل على أنهم دائمًا يشتهون الأمور العلوية [السماويَّة] ولا ينظرون إلى أسفل أبدًا».

ويضيف القديس يوحنا الذهبي الفم في حديثه عن الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق وحالة الاندهاش والانخطاف الرُّوحي كالتالي:

«لأنَّ الأجساد البرَّاقة، وإنْ كانت مُنيرة بشكلٍ عظيم، حينئذ فإنَّها عادةً ما تثير ذهولنا لما نشاهدها للمرَّةِ الأولى بعيوننا، ولكن إنْ واصلنا التطلُّع فيها أكثر فبالتعوُّد سوف ينتهي اندهاشنا، لأنَّ عيوننا قد اعتادت تلك الأجساد. لذلك فعندما نرى أيقونة ملوكيَّة، وقد تمَّ تكريسها حديثًا (تجهيزها) وهي تزهو بألوانها، فهي تُثير إعجابنا، ولكن بعد يوم ويومين يزول إعجابنا هذا. ولكن لماذا أتَحَدَّثُ عن أيقونة ملوكيَّة، مادام الأمر ذاته يحدث لنا مع أشِعَّة الشَّمس، مع أنَّه لا يوجد جسم أشَدَّ لمعانًا منها؟ وهكذا فأيُّ جسدٍ بسبب الاعتياد على النظر

إليه يذهب الإعجاب به. غير أنَّ الأمر ليس كذلك فيما يتعلَّق **بمجدِ الله**، بل على العكس تمامًا، لأنَّه كما واصَلَتِ تلك القوَّات (السماويَّة) في النظرِ إلى ذلك المجد كُلَّما ٱنبهرت بالأكثرِ وازداد تعجُّبها، لذلك فبالرغمِ منْ أنَّهم يَرَوْن ذاك المجد منذ خِلْقَتِهم حتى الآن، فلا يتوقفون عنِ الصُّراخِ بانبهارٍ، لأنَّ ما نُعاني منه، ويحدث لنا في برهة قصيرة من الزمن، عندما يأتي علينا ضياءٌ ساطع، يحدث لتلك القوَّات القائمة قدَّامه بٱستمرار وبلا انقطاع، وبالرغم من ذلك يُظهِرون لَذَّةً ما وتَعَجُّبًا. لأنهم لا يصرخون فقط، بل يفعلون ذلك فيما بينهم، وهذه علامة على اندهاشهم الدَّائم، وهذا نفسه ما يحدث لنا عندما نسمع رعدًا أو زلزالًا يَهُزُّ الأرض، لا نقفز ونصرخ فقط، بل نُسرِع بالهرب الواحد تلو الآخر إلى بيته، وهذا هو ما يفعله السِّيرافيم، لذلك كُلُّ واحد يصرخ نحو الآخر قائلاً: قدوس، قدوس، قدوس».

(**القديس يوحنا الذهبي الفم ، رؤيا إشعياء، تَرْجَمَة: د. جورج فرج**).

وهكذا بعد جولة روحيَّة عميقة وممتعة بين تعاليم آباء الكنيسة عن حالة الاندهاش والانخطاف الرُّوحي التي تحدُث لنا في الصلاة، وكيف تصل الصلاة الذهنيَّة بنا إلى الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق وغير المحسوس والفائق الوصف، نصلي دائمًا من كُلِّ قلوبنا أنْ نصلَ إلى هذه الحالة الروحيَّة الجميلة والطوباويَّة لنتمتَّع بلمحاتٍ من ملكوت الله ونحن سالكون في هذه الحياة الحاضرة المليئة بالمصاعب والضيقات. بالتالي نستنتج أنَّ تعليم الاتحاد بالنُّور الإلهي غير المخلوق هو تعليم كتابي، ورسولي، وآبائي أرثوذكسي سليم اختبره التلاميذ، والرسل، وآباء الكنيسة على مر العصور. ■

لم ألتقِ في حياتي شخصًا أسعدَ من **السيرلانكي روشان داسن (٣٧ عاما)**. فهو يبتسم على الدوام. يبتسم وهو يستقبلك. ويبتسم وهو يودِّعك. ويبتسم بينهما. لا يملك سوى ثلاثة قمصان يكررها على مدار العام. لكنه يُشعرك أنَّهُ يملك الدنيا وما عليها. درست معه مادة قبل ٩ شهور في **مانشستر ببريطانيا** ومازلت أقصده كلما حزنت. فهو يملك قدرة فائقة على إطفاء أي حزن بابتسامة واسعة وتفاؤل غفير.

روشان لا يغادر **جامعة سالفورد ببريطانيا** التي يدرس فيها للدكتوراه في موضوع الهندسة. فإمَّا تجده في غرفة طلاب الدكتوراه يكتب ويقرأ. أو تجده داخل دورات مياهها (المراحيض) ينظف ويكنس. مستعدٌ أن يقوم بأي عمل شريف يساعده على تسديد رسومه الدراسيَّة وإيجار شقته.

لم أره متذمِّرا قطُّ. ولم أره يأكل طوال معرفتي به. عفوًا رأيته مرَّة واحدة. وكان يأكل مثل العصافير، قليلا جدًّا. وعندما شاهدني أعاد علبة طعامه الصغيرة إلى حقيبته بسرعة فائقة وابتسم.

يقرأ **الصحيفتان التايمز والجارديان** يوميًّا في مكتبة الجامعة. ولا يتابع التلفزيون إلَّا لمامًا. لكنه يتابع برنامجا شهيًّا على إذاعة (**ريل راديو نورث ويست**). هذا البرنامج يمتد إلى ساعة واحدة. يذيع فقط أنباء سعيدة طريفة يستقبلها من مستمعيه. مثلًا: مارك جون من ليفربول استطاع أخيرا أن يعرف كيف يربط ربطة عنق. وجينفر وجدت قبل لحظات نظارتها الشمسيَّة على وجهها بعد عناء استغرق ساعات في البحث عنها. ومرَّة سمعت **اسم روشان** في البرنامج محتفلًا بكوب شاي ارتشفه في منزل صديقه.

لروشان ميزة استثنائيَّة تكمن بالاحتفال بالأشياء الصغيرة. سعادة تفيض من وجهه عندما يعثر على كتاب أو جملة جذَّابة في رواية.

تجاوز **روشان** الفقر المدقِع الذي كان يرزح تحت وطأته في مسقط رأسه، وظروف صعبة عاشها في **بريطانيا**، بفضل ابتسامته التي ورثها من والدته. يتذكَّر أمامي دائما كلمات أمه عندما كان صغيرا:« لا تحزن لأنك لا تملك حذاء، بل افرح لأن لديك جوربًا».

على النقيض تماما من **روشان** لديَّ صديق **عابس وقانط** على الدوام. لم أشاهده مبتسمًا قط. كل **الأفراح** يحولها إلى **أتراح**. عندما باركت له التخرج صعقني قائلا: **«اخفض صوتك. من يسمعك سيعتقد أنَّني حصلت على وظيفة أو ورثت مالاً؟»**. وحينما هنأته بطفلِه الأول، سحب يدي بصرامة حتى كاد أنْ ينزعها ثم قال: **«احذر. لا تنجب مبكرًا. منذ أن أبصر طفلي النور وأنا لا أعرف النوم»**. إذا ابتسمتُ أمامه عاقبني قائلا: **«سيجيء لك يوم وتبكي»**. وإذا وجدني مهمومًا زاد همي همًّا بقوله: **«قطعًا، تفكر في دراهمك؟»**.

صديقي لا يمثِّل حالة شخصيَّة، بل واقع الكثير منَّا الذين ينظرون للحياة **بتشاؤم**. ينظرون للنصف الفارغ من الكأس. وينقلون **عدوى الإحباط** لأترابهم ليسود جوٌّ عارم من **الانهزاميَّة والخيبة والحزن**. يقول الفيلسوف الفرنسي، **أوغست كونت**: «لكي تحتفظ بالسعادة عليك أن تتقاسمها مع الآخرين». فالابتسامة التي تَسْكُبها من وجهك ستعود لك. ستذهب بعيدًا. لكنها حتمًا ستعود.

قضيت سنوات عديدة في الغربة أدرس ولا أختلط إلَّا بأبناء جلدتي. فأمسيت على الدوام **أنتقد حجم المكافأة وارتفاع غلاء المعيشة وتجاهل الملحقيَّة الثقافية الرَّد على اتصالاتي**. أهدرت سنوات طويلة **مُكفَهِرًّا ومتجَهِّمًا**. ضيَّعتُ شهورا جمَّة **غاضبًا وحانقًا**. لكن عندما تعرفت على **روشان** أدركت أنَّ الحياة تستحق أنْ نتعلَّق بها أكثر. ونتشبَّث بها بأيدينا وَأرجُلِنا. جعلني أستمتع بكوب الشَّاي، وأبتهج بقميصي الجديد. جعلني أحتفل برسالة نصيَّة هاتفيَّة، وأطرب لمحاضرة تقليديَّة. جعلني أفرح أكثر وأحزن أقل. **جعلني أبتسم كثيرًا**.

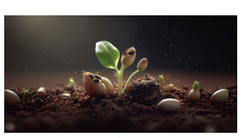

تفشى الإحباط في مجتمعاتنا لأننا تخلينا عن الفرح. انصرفنا عن البهجة. ونسينا أن الأفراح الصغيرة وقود للأفراح الكبيرة. وأن البحر يبدأ بقطرة. **والشجر ينهض من بذرة**.

تتمَّة من العدد السابق

كان يُعطي أهميَّة كبيرة للصحَّة، فكان يكشف أمراضًا مخفيَّة ومستترة، مشيرًا إلى سُبُل الأشفية وطريقة الشِّفاء، وإلى مشافي الخارج، فكان البعض يرَوْنَهُ مُتجوِّلًا في أرجاء المشافي. كما كان يُعطي أهميَّة قصوى لتربية الأولاد، وبالأكثر لفرح الأولاد، كان يُعَلِّمنا ويُبرز لنا أنَّ مسلكيَّة الأولاد السيِّئة تقودُ إلى إخفاق الأهل، كان يُريدُ الأهلَ أن يكونوا قدِّيسين، طالمَا استحقُّوا أن يَصيروا أهلًا ووالدين، وإذا كانا عاجزين عن البلوغ إلى القداسة، فليَتَوَقَّفَا عن **تعذيب الأولاد بتوبيخاتهم**، وعِوَضًا عن ذلك، فليُضاعِفَا حرصهم، وأن يستدعِيَا معونة الله الذي يأتي بشكلٍ عجائبي وبدون حجج وبراهين، وفوقَ كُلِّ شيء على الأهل أن يسيروا في طريقٍ مستقيمة لبلوغ القداسة.

في إحدى زياراتي **للشيخ**، لم أَكُن قد أخبرته عن تصرفات زوجتي، وعندما دخل إلى قلَّايته بدأ بالصراخ مُتوجِّهًا إلى زوجتي قائلًا: «دَعي، يا سيِّدتي، أولادك ولا تُعذِّبيهم، لقد التهمتِ هؤلاء المساكين، سيُغادِرونَكِ ... ». فلمَّا بادرنا معًا بفَمٍ واحد للإجابة مُبرِّرين تصرفاتنا قائلين: «... حتى يصيروا أولادًا صالحين أيُّها الشيخ، نحن نجاهد ونُعارك ...». فأجابنا: « أنتما صيرا أفضل ودَعوا أولادكم مرتاحين من توبيخاتكما المتكرِّرة. لاحقًا طلب منِّي أسماء أولادنا بحسب أعمارهم، فكان يُعدِّدهم بأصابع يَدَيْهِ! ثمَّ قال لي: أَعِد ذِكر الأسماء ثانيةً. فسألته: لماذا؟. فأجابني: حتى أتذكَّرهم. هكذا تعزَّيت بالفكر بأنَّ الشيخ سيُصَلِّي لأجلهم لوقتٍ كافٍ.

وبينما كُنَّا نفكِّر بتكثيف زيارتنا له، غادرنا الشيخ، بالبداية لبعض الوقت في **كافسوكاليڤيا في جبل آثوس**، وبعدها غادرنا إلى الأبد. إختفى **في جبل آثوس** حتى لا نُمجِّده ولا حتى بعد الموت. هذا الذي بفرحه ومحبَّته **للمسيح** لم يُفهَم كيف رَقَد، كان لقاء عشقه الحقيقيّ مع **المسيح** هو موته. **المسيح** هو الفرح، هو النُّور الحقيقيّ، والنجاح، **المسيح** هو رجاؤنا، العلاقة مع **المسيح** هي محبَّة، هي عشق، هي انذهال، ولهفة إلهيَّة. **المسيح** هو في كُلِّ شيء صالح وبكلِّ شيء، لا تُحاربوا التجربة بشكلٍ مباشر فيضغط الشِّرير أكثر ... وبالطبع الرغبة بالتخلُّص من التجربة تكون موجودة، لكنها تكون سريَّة ودقيقة غير مرئيَّة بوضوح.

كان **القديس** يوزوِّدنا بمثل هذه النصائح حتى نسير داخل **جحيم العالم الحاضر**، حاملين في داخلنا الفردوس. هكذا نستطيع برغبة صغيرة جيِّدة، وطاعة لِنَصائحه أن نَتَصَلَّح بالرجاءِ المغبوط **ضمن العالم المُحبِط**. نشكرك أيُّها **القديس پورفيريوس**.

٦ – أقوال القديس هي إنجيل:

شهادة اليروندیسا آنَّا، دير القديس پورفيريوس كسانثي:

«أيُّها البار پورفيريوس عندما كنتَ على قيد الحياة، كنتَ تُحدثني عن

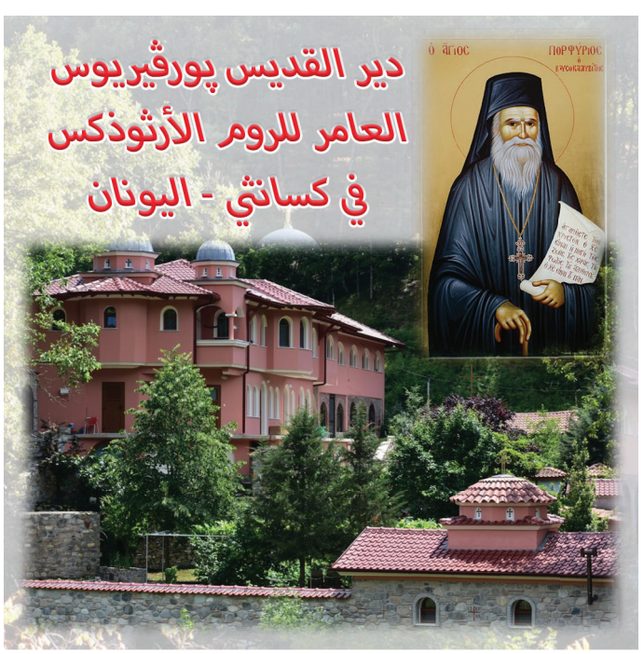

الحياة الرهبانيَّة، عن النُسك، عن الهدوء، وعندها كنتُ استرسل في الإصغاء عن نُسَّاك الجبل المقدَّس آثوس، **بستان العذراء**، كانوا يعيشون سريًّا، ببساطة، بتواضع، بحرارة قلبيَّة **للمسيح**، ومن خلال السهرانيَّات الطويلة في القلالي أو الكنائس، كانوا يعيشون الرُؤى السماويَّة. هذا الطريق هو الطريق الأعظم، الأقدس. كنتَ تُظهر لي هذا الطريق الذي تبعته أنتَ شخصيًّا من طفوليَّتك في الجبل المقدَّس، في إسقيط كافسوكاليفيا المحبَّب إليكم، وكذلك وعندما كنتَ في العالم خارجًا لم تتوقَّف عن النُسك، فكنتَ تعيش **المسيح** سريًّا بالرغمِ من كثرة الناس التي كانت تقصدك، والاهتمامات التي حملتها معه. فكنتَ ترتشف مشروب عسل الهدوئيَّة، كنتَ تُحَلِّي بقولك نفوسنا وأرواحنا، التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، والتي لم يَكُن لديها أيَّة فكرة عن الحياة الروحيَّة، وكم هو حلوٌ وعَذْبٌ **المسيحُ** إلهنا، وكلّ قولٍ وَسَبَبٍ لكَ، كان يهدف ويُعَزِّي الى أيِّ مدى يجب أن يحبّ الناسك **المسيح**.

وعندما كنتُ أسأَلُكَ كيف بإمكاننا أن نُنَمِّي المحبَّة **للمسيح**. كنتَ تُجيبُني: « أنَّ السرَّ كان في الطاعة، الطاعة **لشخص الشيخ المميَّز**». إذ كنتَ تُحبُّ شيخَكَ، وشَيخُكَ يُحِبُّكَ، عندها تستطيع أن تُمارس الطاعة بسهولة وبدون غضب أو جهد، تُطيعه بفرح لأنَّك تحبُّهُ، وترغب أن تُريحه، تتطلَّع كيف يعيش هو **المسيح**، وترغب أن تبلغ لمستواه، ليس لأنَّكَ تستحقّ ذلك، وإنَّما بصلاةِ شيخك تصل إلى هذا المستوى الروحي؛ بصلوات شيخك. «لهذا كنتَ تقول دائمًا: إنَّ الحياة الرهبانيَّة هي علم العلوم، وأنها مركز العالم، أهم درس وأكثر جديَّة ومُحيِه هو درس الطَّاعة. عندما تعترف (تمارس سرّ الاعتراف) ترتاح النفس، وعندها تطلب بفرح أنْ تشكر **المسيح** على محبَّته للبشر ورأفاته، بأنَّه جعلك ابنًا لمملكته، وأي شيءٍ آخر بإمكانك تقديمه حتى تُظهر هذا الشُكر من ممارسة الطاعة بفرح. بدون أن يكون عندك **هموم أو تأزُّم**. **الطاعة** هي كما كان يقول: **قداسة مستمرَّة**. **الطاعة** هي مُهمَّة للغاية، هي **التواضع بحدِّ ذاته**، الطاعة تُغَيِّرُكِ، تجعلك أكثر حركة، وأذكى، وأقوى، تجعل منك جديدًا في كُلِّ شيء. كنتُ أَتَّعظ من حياتِكَ الخاصَّة، وعندما كنتُ أسمعك تقول لي: أنَّكَ منذُ كنتَ طفلًا صغيرًا لم تسمع كلمة **براڤو**، ولوّ مرَّة واحدة في بيتك الفقير في القرية (**اسم القريَّة**: **أيجيوس يوانِّيس – في إيڤيا**)، ولا حتى عند شيخِكَ في قلَّاية القديس جوارجيوس في إسقيط كافسوكاليفيا في جبل آثوس، وهذا سَاعَدَكَ للغاية، لأنَّكَ عِشتَ منذ الصِغَر بدون تَلَقِّي المديح من الآخرين، فكنتَ تعيش **بتواضع وبطَاعة**، وبالطبع بدون أن يتولَّد لديك الانطباع بأنَّ عندكَ شيئًا صالحًا، وأنَّكَ شخصٌ جيِّد، وإنَّما بشكلٍ دائم كنتَ تُقَرِّعُ نفسَكَ، وتشكر **الله** لإنَّكَ لا تستحقّ عطاياه، بينما هو (**أي الله**) كان يعاملك بكَرَمٍ ومحبَّة عميقة.

† أتَذَكَّر عندما أخبرتُكَ بقصَّة **الحمار الصغير** للبقَّال عندما كنتُ صغيرة، فكان يمرّ البقال خارج ساحة البيت مع حماره الصغير المحمَّل بسِلالٍ مليئة بمنتجات الأرض الصيفيَّة: طماطم، خيار، باذنجان ... وغيرها، فكان يجتمع الجيران ليشتروا، وكانت الجدَّة تُناديني حتى أركض لآخذ المكنسة مع المجروف (المجرود) حتى أجمع روث الحمار (الطازج) (الحديث)، وأن أضعه بين الورود، فكنتُ أخجل داخليًّا وأقول: «انتظري حتى تغادِرَ الجارات، وبعدها سأجمعها»، لكنَّ الجَدَّة كانت تَصرُّ عليَّ ، وكان هذا هو الدرس الأفضل حتى أصير **متواضعة**، وألَّا أظهر أنِّي شخصٌ مهم. وكنتَ تقول لي متحمِّسًا: «هذا هو، كم ساعَدتْكِ الجدَّة، كانت تتعامل معَكِ كما **الييروندا في الدير**، يا لها من إمرأة حكيمة من النساء القديمات المعجونات بالخبرة، اللواتي حملنَ على أكتافهنَّ (كاهلهنَّ) نتائج **الترحيل القَسري** من آسيا الصغرى **والهجرة الإجباريَّة والاضطراريَّة**، وبالصليبِ والإيمان، كُنَّ يَلِدنَ **حياةً روميَّة أورثوذكسيَّة**، تنتقل بشكلٍ حيٍّ إلى الآخرين.».

كان يقولُ لي: لو تعلَّمَ الأولاد منذ صِغَرِهِم، طريقة الحياة هذه، فعندما ينمون، تُخلَق بنعمة الرُّوح القُدُس داخلهم قوى مميَّزة، قويَّة، تُساعدهم أن يصيروا رجالًا مخلوقين بفرحِ **المسيح**. وأن يكونوا قادرين على التوجُّهِ بشكلٍ صحيح في الحياة، في العالم، وكذلك في حياة الدير.

يتعلَّم الإنسانُ دروس **الطاعة** في بيته منذ صِغَرِه، وتُصبح له المَلَكة والموهبة ليتماشى في مختلف الظروف، وفي كلِّ مكان، في أيَّةِ حالة مهما كانت تبدو صعبةً، لهذا كنتَ تقول لي: لا يصير الشخص راهبًا في الدير، وإنَّما يتعلَّم الرهبنة في بيته، ويأتي جاهزًا الى الدير؛ تمتلك أنفسنا طاقات رهيبة، والتي نعكسها على الوسط المحيط. لهذا فالإنسان **المتواضع** يصير محطَّ أنتباه الجميع، يؤثِّر بالجميع حوله، لأنَّ هذه الطاقات الإلهيَّة الرهيبة في نفسه يُفَعِّلون بشكل إيماني على وسطه، يتقدَّس هو نفسه، ويتقدَّس بالقُربِ منه الآخرون، يتقدَّس المكان حيثُ يُقيم، وكذلك حين يدخل. السرّ موجود في أقوال **المسيح**، بأنَّ الأوَّل يصير أخيرًا، والأخير يصير أوَّلًا، وإنْ أرادَ أحدٌ أن يصيرَ أوَّلًا، لِيَكُن كمن يَخدِم، ومن أرادَ أن يصيرَ أوَّلًا، عندها فليكُن بفَرحٍ ورغبة نفسيَّة داخليَّة عبدًا للجميع.

إنَّ **أقوال القديس بورفيريوس** هي **إنجيل للأهلِ، للرهبان وللجميع**.

† **الله** يرسل الأمراض من أجل صحة الرُّوح... إذا كنتَ تتذكر دائمًا ضعفك، فلن تتعدى حدود التعقّل. **القديس اسحق السوري**

† تُعلِّم الحكمة الرُّوحيَّة أنَّ الأمراض وغيرها من الآلام التي يرسلها **الله** إلى الناس تُرسَل من رحمة **الله** الخاصة كدواءٍ مرير. تتعاون أشفية المرضى لخلاصنا وعافيتنا الأبديَّة، بالتأكيد أكثر بكثير من الشفاء العجائبي. **القديس اغناطيوس بريانشانينوف**

† المرض والفقر يواضعان الإنسان حتى النهاية. جئت إلى أحد الآباء وهو مريض وسألته «كيف حالك؟» لكنه كان مستاءً من مرضه، وبدلًا من الإجابة ألقى قبعته على الأرض. فقلت له: الحمد لله على مرضك. وإلَّا كنت ستموت على نحو رديئ. **القديس سلوان الأثوسي**

إنَّ قَصْدَنَا هو أنْ ننقُل ٱلتعليم عن نور النعمة، الذي للقديسين الموقَّرين منذ القديم، فحكمتهم تأتي من الخبرة، وقد أعلنوا أنَّ تعليمهم «هو تعليم الكتاب المقدس». لذلك نقدِّم كلمات **القديس إسحق السوري** المفسِّر الأمين في هذا المجال، بمثابة تلخيص لكُلِّ الأقوال الأخرى: «إنَّ لنفسنا حدقتين، كما يقول جميع الآباء .. إلَّا أنَّ النظر الخاص بكُلٍّ منهما يختلف إستعماله عن الآخر، فبإحدى هاتين الحدقتين نعاين أسرار الطبيعة، أعني قوَّة الله وحكمته وعنايته بنا، ونُدركُها بفضل الجلال الذي يَسُوسنا به. وبالحدقة الأخرى نعاين مجد طبيعته المقدسة حين يرتضي الله إدخالنا إلى الأسرار الروحيَّة».

ما دامتا حدقتين فما تُبصرانِهِ هو نورٌ. ومادام لكُلٍّ منهما قوَّة رؤية خاصة بها فهناك ثُنائية في معاينة هذا النُّور، لأنَّ كُلَّ حدقة تُشاهد نورًا مختلفًا، لا تراه الحدقة الأخرى. وكما فسرَّ لنا **القديس إسحق**:« النُّور الأول هو رؤية قوَّة الله وحكمته وعنايته، وبصورة عامة معرفة **الخالق** من خلال المخلوقات. أما النُّور الآخر فهو معاينة «مجد طبيعته»، - **وليس معاينة الطبيعة الإلهية** - الذي وهبه **الرَّبُّ** لتلاميذه، وبواسطتهم لجميع الذين آمنوا به، وأظهروا إيمانهم بأفعالهم. هذا المجد أراد **الرَّبُّ** بكُلِّ وضوح أنْ يعاينوه، إذ أنَّهُ قال **للآب**: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ ... يَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (يو١٧: ٢٤). وأيضًا: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يو١٧: ٥).

هكذا فإنَّه قد أعطى الطبيعة البشريَّة مجد الألوهة **لا مجد الطبيعة**، إذْ أنَّ طبيعة الله شيء ومجده شيء آخر، وإنْ كانا لا ينفصلان. إلَّا أنَّ المجد وإنْ كان مختلفًا عن **الطبيعة الإلهيَّة**، فهو لا يُمثِّل **بالأشياء الخاضعة للزمن**، لأنَّه في تساميه ليس بمخلوق، لأنَّه يخصّ **الطبيعة الإلهيَّة** بصورة لا توصف.

إذًا، لم يهب **الرَّبُّ** هذا المجد، المتسامي على كل الكائنات **للمُركَّب البشري المتحد بأقنومه وحسب**، بل أيضًا للتلاميذ، إذ يقول: «يَا أَبَتَاهُ، وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ.،أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١٧: ٢٢-٢٣). ولكنه أراد أيضًا أنْ يعاينوا هذا المجد، هذا الذي نقتنيه في داخل أنفسنا، والذي بواسطته نعاين الله.

فكيف نمتلك ونعاين مجد **الطبيعة الإلهيَّة** هذا؟ هل بتفَحُّص عِلَلِ الكائنات، والسَّعي من خلالها لمعرفة قُدرة الله وحكمته وعنايته؟ بل كما قلنا، أنَّها حدقةٌ أُخرى للنفسِ ترى كُلَّ هذا ولا تعاين النُّور الإلهيّ الذي هو «**مجد الطبيعة**» – بحسب كلمات **القديس إسحق السوري**. فهذا النُّور يختلف إذًا عن النُّور الذي هو مرادفٌ للمعرفة. وبالتالي، ليس كل من يقتني معرفة الكائنات – أو يعاين من خلال التأمل فيها – يكون الله ساكنًا فيه، بل هو مجرَّد يقتني معرفة الكائنات، ومن خلالها يستنتج – عن طريق القياس – وجود الله. أمَّا الذي يقتني ذلك النُّور وَيُعَايِنُهُ بصورة سِرِّيَّة، فإنَّهُ يعرف الله ويقتنيه في ذاته، ليس بعد بطريق القياس بل في معاينة حقيقيَّة، متسامية على كُلِّ الخلائق، إذْ هو لا ينفصل أبدًا عن المجد الأبدي.

ليتنا لا نتشكَّك غير مُصدِّقين هذه الغزارة الفائقة التي لتلك الخيرات، بل فلنُؤْمِن بالذي اشترك في طبيعتنا، وَأَنْعَمَ عليها في المقابل **بمجد طبيعته**، **وَلْنَتَقَصَّ** كيف نقتنيه ونعاينه. (تقصَّى = تَأَمَّلَ ، تَعَمَّقَ ، تَفَحَّصَ».

كيف؟ بحفظ الوصايا **الإلهيَّة**، لأنَّ **الرَّبَّ** قد وعد أنْ يُظهرَ ذاته لمن يحفظها، ظهورًا دعاهُ: «سكناه الخاص، وسكنى **الآب**»، قائلًا: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا.» (يو١٤: ٢٣)، «وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو١٤: ٢١). ومن الواضح أنَّهُ يقصد بكلامه **وصاياه**، لأنَّهُ يذكرها قبلًا بدلًا من كلمة «**كلامه**» قائلًا: «اَلَّذِي عِنْدَهُ **وَصَايَايَ** وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي» (يو١٤: ٢١).

ونحن نعلم أيضًا أنَّ حفظ الوصايا يعطي معرفة حقيقيَّة، إذْ بِه تتعافى النفس. فكيف يمكن للنفسِ العاقلة أنْ تكون متعافية إذا كانت **مَلَكَةُ الإدراك فيها مريضة**؟ نحن نعلم إذًا أنَّ وصايا الله تَمنحُ أيضًا معرفة،

وليس ذلك فقط بل أيضًا **تَأَلُّهَا**. نحن نقتنيه بشكلٍ كامل، بواسطة **الرُّوح القُدُس**، نعاين في ذواتنا **مجد الله**، عندما يرتضي **الله** أنْ يأتي بنا إلى الأسرار الروحيَّة – كما أوضح **القديس إسحق السوري**.

لكن لنسمع أيضًا ما قاله **القديسون الآخرون** الذين سبقوه عن **مجد الله**، ذلك المجد الذي يعاينه الأبرار بصورة سِرِّيَّة وَخَفِيَّة. لننظر أولًا لشهود العيان ورسل إلهنا وأبينا **يسوع المسيح**، « الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ.» (أف ٣: ١٥) ، في ملءِ الكنيسة المقدسة. لنسمع أولًا إلى قائدهم **بطرس** الذي يقول: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ.» (٢ بط ١: ١٦). ولياتِ **رسولٌ** آخر ليقول لنا ما هو **مجد الرَّبّ يسوع** هذا الذي شاهده عيانًا: «لما استيقظ بطرس واللذان معه رأوه مجده» «فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ» (لو٩: ٣٢). أي **مجد؟** فليأت إنجيليّ آخر وَلْيُدْلِ أيضًا بشهادته: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ» (مت ١٧: ٢).

لقد أوضح لهم أنَّه عينه **الإله** الذي «يَرْتَدِي النُّور مِثْلَ الثَّوْبِ» (مزمو١٠٣: ٢) – حسب قول المرنم.

ولذا فإنَّ **بطرس** بعد أنْ قال أنَّهُ: عاين **مجد المسيح** على **الجبل المقدس**، وعاين **النُّور** الذي يُنير – ويا للغرابة – الآذان ذاتها، (إذ أنهم عاينوا أيضًا سحابة مُنيرة دوَّت منها أقوال) يستمُّر فيقول: «وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَهِيَ أَثْبَتُ» (٢ بط ١: ١٩).

يا معايني **الله** ما عساها تكون هذه الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ التي معاينة النُّور تُؤَكِّدها لكم؟

ما عساها تكون إلَّا أنَّ **الله** «يَرْتَدِي النُّور مِثْلَ الثَّوْبِ».

ثم يكمل فيقول: «تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا، كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ، إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ». أيُّ نهار؟ **النَّهار الذي ظهر على جبل ثابور؟**

«وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ»، أي كوكب؟

الكوكب الذي أضاء لبطرس هناك كما أضاء ليعقوب ويوحنا.

وأينَ يُشرق هذا الكوكب؟

يشرق «**فِي قُلُوبِكُمْ**»؟

أَلَا ترى كيف يُشرق ذلك النُّور منذ الآن في قلوب المؤمنين والكاملين؟ أَلَا ترى كم هو أسمى من **نور المعرفة؟** ليس النور الناجم عن **الدراسات الهلينيَّة** هو المقصود، لأنَّ هذا النور **غير جدير** حتى بأن يسمى نورًا، إذ ما هو إلَّا **كذبًا** أو ممتزجًا بالكَذِب، وأقرب إلى **الظلمة** من النُّور. في الحقيقة، إنَّ نور تلك المعاينة يختلف عن المعرفة الآتية حتى من الكتاب المقدس نفسه، المُشبَّة: «بسراج منير في موضع ومظلم»، في حين أنَّ نور تلك المعاينة الميستيكيَّة ممثَّلة بكوكب الصبح الذي يُضيء في وضح النهار، أي في ضوءِ الشَّمس.

... أمَّا هذا الإيمان الحقيقي، الذي ينجم عن حفظ الوصايا، فهو لا يَهَبُ معرفة **الله** من خلال الكائنات فقط – سواء معروفة أو غير معروفة – (لأنَّنا حينما نقول «كائنات» نفهم أنها مخلوقة)، بل من خلال النُّور غير المخلوق الذي هو مجد **الله**، مجد **المسيح** إلهنا، ومجد أولئك الذين يحقِّقون الغاية الأسمى بالتشبُّة **بالمسيح**.

لأنَّه في مجد **الآب** سوف يأتي **المسيح** ثانية، وسوف « يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ» (مت ١٣: ٤٣) في مجد أبيهم **المسيح**. وسوف يكونون نورًا ويعاينون **النُّور**، مَشهدًا حُلوًا مُقدَّسًا، يقتنيه فقط القلب المتطهِّر. إنَّ هذا **النُّور** في الوقت الحاضر يُضيء جُزئيًّا، بمثابة عُربون، للذين من خلال اللاهوى قد تجاوزوا كل ما هو كريه، وبالصلاة النقيَّة غير الهيوليَّة تجاوزوا كل ما هو نقي. لكن في اليوم الأخير، هذا **النُّور** سوف **يُؤَلِّهُ** بشكل جَلِّي «أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ» (لو٢٠: ٣٦)، الذين سيتمتَّعون في الأبديَّة وفي المجد، في شركة مع ذاك الذي وَهَبَ طبيعتنا بمجدٍ وبهاءٍ إلهيَّيْن.

هذا المجد والبهاء ليس **الجوهر** – حتى في النطاق المخلوق – فكيف يمكن بالتالي أنْ يظنَّ أحدٌ أنَّ مجد **الله** هو **جوهر الله**، جوهر ذلك **الإله** الذي مع بقائه غير قابل للشركة وغير منظور وغير ملموس، يصبح قابلًا للشركة بقدرته الفائقة **الجوهر**، ويُشرك ذاته ويُشرق ويصير «رُوحٌ وَاحِدٌ» (١ كو٦: ١٧) في المعاينة، مع أولئك الذين يقابلونه بقلب نقي، وفقًا للصلاة الميستيكيَّة والسريَّة للغاية، التي وجَّهها عنا **أبونا** المشترك إلى **أبيه؟** «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو ١٧: ٢١)، في **الحقِّ**.

تلك هي معاينة **الله** التي سيعاينها فقط، في الدَّهر الذي لا نهاية له، الذين سيُحسبون أهلًا لهذا التحقيق المُبارك، والتي عاينها في الدَّهر الحاضر الرُسل المختارون على **جبل ثابور**، كما عاينها أيضًا **استفانوس** أثناء **رجم اليهود** إياه، **وأنطونيوس** أثناء صراعه من أجل السكون الداخلي، **والقديسين** أنقياء القلوب، كما نتعلَّم من أقوالهم المكتوبة وَسِيَرِهِم. أنا أيضًا أُؤَكِّد أنَّ **الأنبياء والبطاركة** لم يكونوا بدون خبرة هذا **النُّور**، بل كُلّ **رُؤاهم** – ماعدا البعض منها استثناء – خاصة الرؤى الإلهيَّة، كان لها حصَّة في ذلك **النُّور**. فكيف **لله** أن يتشبَّه بنورٍ آخر غيره، وهو ذو **النُّور الأزلي** الذي يعاينه – ولو بصورة سريَّة – أنقياء القلوب، في الوقت الحاضر، وفي الدهر الآتي على السَّواء.

المرجع: الدفاع عن القديسين الهدوئين، الثُّلاثيَّة الثانية، للقديس غريغوريوس بالاماس، تعريب دير مار جرجس الحرف، منشورات التراث الآبائي (مأخوذ بتصرف وإعادة ترجمة).

« هناك تجربة نتسبَّب فيها نحن، وهناك تجربة يسمح بها الله. الأولى هي مضرة للنفس وعنها قال يعقوب الرسول: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ»، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا.» (يع ١: ٣). أما التجربة التي يسمح بها الله فهي مفيدة للنفس وتحدث للناس لكي تمتحنهم. «وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي » (رو ٥: ٤).

القديس برصنوفيوس (القرن ٦)

دير بانتوكراتور– الجبل المقدّس آثوس

يقع **دير البانتوكراتور** في الجهة الشماليَّة الشرقيَّة **لشبه جزيرة آثوس**. الدير مبنيٌّ على رأس تلة مواجهة لبحرٍ **ذات أمواج هائجة**. وهو على مسافة ساعتين ونصف من **دير فاتوبيذي** سيرًا على الأقدام.

تاريخ الدير

يعود تأسيس الدير إلى **منتصف القرن ١٤**. مواطنان روميّان (بيزنطيَّان) من النبلاء: **أليكسيوس الستراتوبيدارك** (*Stratopedarch* – قائد المعسكر) وأخوه **يوحنا بيريميكيريوس** (*Primikerios* – لقب في البلاط الملكي) تركا أمجاد العالم وأتيا إلى **الجبل المقدّس** وَتَرَهَّبَا في قلّاية البانتوكراتور التي كانت في هذا المكان، وَعَمِلا معًا على توسيعها **إلى دير**. وهما يُعتبران مُؤَسِّسَيِ **الدير الحالي** ورفاتهما محفوظة في كاثوليكون الدير.

ولمَّا كانا من ذوي **الأمبراطور الرُّوميّ (البيزنطي) يوحنا الخامس باليولوغوس** حصلا على المساعدات المرجُوَّة لإعمارِ الدير، واستمر تَدَفُّق هذه المساعدات على عهد **الأباطرة اللاحقين**.

عام ١٣٩٣، تعرَّض **الدير** لحريقٍ دمَّر قسمًا كبيرًا من المباني، أُعيد اعمارها بمعيَّة **البطريرك أنطونيوس والأمبراطور مانويل الثاني باليولوغوس**. في هذه الفترة، ضُم إلى **دير البانتوكراتور** عددٌ من الأديرة الصغيرة منها دير القدّيس أوكسانتيوس ودير القدّيس دميتريوس ودير **يسوع المسيح المخلّص** وغيرها.

بعد **الغزو التركي** للبلاد، واجه **الدير** ضيقات مادِّية آزرهم عليها بعض الحكّام من منطقة الدانوب ذي الأصل اليوناني. كذلك أُرسلت إلى الدير مساعدات من البلاد الروسيَّة.

عانى الدير من حريقين آخرين كبيرين أحدهما **عام ١٧٧٣** والثاني **عام ١٩٤٨**. في الأول عمل أمين صندوق الدير، **كيرللس** بدون كَلَلٍ على جمع الأموال الضروريَّة لإعادة الإعمار. أمَّا أضرار الحريق الثاني، فقد عمدت **إدارة الآثار اليونانيَّة** إلى ترميمها.

وابتداء من **العام ١٥٧٤**، احتلّ **دير البانتوكراتور** المرتبة السابعة بين الأديرة في **الجبل المقدّس**. وهو يتبع النظام الشركوي منذ **العام ١٩٩٢**.

معالم الدير

مباني الدير مُشيَّدة بشكل دائري غير متناسق مع زوايا متعدِّدة، يحيط بها سور، وغربي الدير يوجد **برج محصَّن**. معظم المباني حديثة البناء.

يقع كاثوليكون الدير في الجهة الشماليَّة للباحة، وهو مُشيَّد بالطريقة التقليديَّة المتبعة **في الجبل**. غير أنَّ المسافة بين مكان وقوف الجوقة والهيكل كبيرة بعض الشيء. والبروتيزس والدياكونِكون (*Prothesis and Diakonikon*)، الفجوتان القبويتان المحيطتان بالفجوة التي فيها الهيكل: واحدة إلى اليمين والأخرى إلى الشمال، موجودتان في برجين صغيرين تعلوهما قبتان. الكاثوليكون صغير بعض الشيء وهو مُكرَّس لعيد تجلّي **ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح** وهو عيد الدير. جرى رسم الكاثوليكون في **القرن ١٤** ورُمِّم في **العام ١٨٥٤**. من الرسومات القديمة المحافظ عليها إلى اليوم: رقاد **والدة الإله**، الكليَّة الشفاعة وعدد من القدّيسين.

لا يوجد حوض لتقديس المياه بسبب ضيق المساحة في ساحة الدير.

شُيِّدت قاعة الطعام مع القلالي في الجهة الغربيَّة. وأُعيد إعمارها في **العام ١٧٤١** وجرى رسمها بعد ثماني سنوات.

إلى جانب الكاثوليكون يملك الدير **١٥** كنيسة أخرى: **٨** داخل الدير و**٧** في الخارج. من أهم هذه الكنائس كنيسة على اسم **رقاد والدة الإله**، وكنيسة للقدّيس نيقولاوس وأخرى للقدّيس يوحنا المعمدان.

تحوي مكتبة الدير **٣٥٠** كتابًا مخطوطًا، منها **٦٨** على أدراج (دُرج = لفائف)، وحوالي **٣٥٠٠** كتاب مطبوع. من أهم ما في المكتبة **إنجيل مخطوط** معروف باسم **كاليفيتو**.

من كنوز الدير قطعة من **ترس القدّيس مركوريوس** وقطعة من الصليب المحيي وعدد من الأيقونات: من أهمها: أيقونة مزدوجة تُظهر **والدة الإله** مع القدّيس يوحنا معمدان من جهة والرَّبّ **يسوع المسيح** مع القدّيس يوحنا المعمدان من الجهة الأخرى. وهناك **أيقونة عجائبية لوالدة الإله اليبروندسيا** (***Gerondissa*** – **رئيسة الدير**).

يملك **دير البانتوكراتور ٥** قلالٍ في كارييس: من أهمها قلاَّية **رودوشو** (*Raudouchou*) التي تعود إلى القرن العاشر وقلاية على اسم **رقاد والدة الإله** لها علاقة بأيقونة «*Axion Estin*» (بواجب الاستهال) وهو مكانها الأصلي. تابع أيضًا للدير **إسقيط النبي إليًا** (انظر الصورة أسفل) حيث نسك **القدّيس بائيسيوس فليتشكوفسكي** و **٥** قلالٍ كبيرة و**٣٨** قلاية أصغر في منطقة **كبسالا**.

أيقونة اليبروندسيا – رئيسة الدير

تُظهر هذه الأيقونة **والدة الإله** واقفة وجهها مستدير قليلًا إلى الجهة الشماليَّة مع إنحناءة طفيفة في وضع تَرجٍ وصلاة. طولها حوالي **١،٩٦** متر وعرضها **٠،٧٦** متر.

يقال عن الأيقونة إنَّه ذات مرّة طلبت **والدة الإله** من خلالها من **الكاهن** أنْ يُسرع في إنهاء القدّاس الإلهي حتى يتمكن **رئيس الدير** من المشاركة في القدسات (المناولة الإلهيَّة) قبل رقاده الذي كان وشيكًا.

على الغلاف الفضي الذي يغطي الأيقونة منقوشة جَرَّة. هذه الجرَّة تُذكِّر بعجيبة الزيت التي أجرتها **والدة الإله**. فقد حدث أنْ نفد الزيت من الدير فتضرَّع **رئيس الدير لوالدة الإله** أمام هذه الأيقونة لتُعينهم. بعد ذلك بقليل، نزل **الرئيس** إلى مخزن الدير فوجد الأجرار كلّها قد فاض منها الزيت. (أنظر صورة الغلاف).

وفي حادثة أخرى، أيام **غزو القراصنة المسلمين للجبل**، حاول أحدهم تحطيم هذه الأيقونة ليوقد نارًا بهدف إشعال غليونه. وما أنْ فكَّر بالأمِر وحمل الأيقونة حتى **أصيب بالعمى**. من شدّة الخوف والرِعدة، أمسك رفاقه بالأيقونة ورموها في بئر قريب. فلمّا دنت ساعة رقاد هذا المسلم الذي عمي عانى آلامًا كثيرة، ولم يجد راحة فطلب من أفراد عائلته الذهاب إلى **الجبل** حتى لو بعد رقاده وسحب الأيقونة من البئر لأنَّه لن يستريح أو تستريح روحه قبل ذلك. انطلقت العائلة إلى الجبل واستردوا الأيقونة من البئر وأعادوها للدير. وهذا بعد **٨٠** سنة من وقوع الحادثة.

الأيقونة موضوعة على منصَّة قرب مكان جوقة الشمال في كاثوليكون الدير. في شكلها الحالي أضيفت لمسات جديدة على الرسم الأساسي للأيقونة.

مخطوطات عثمانيَّة في دير بانتوكراتور:

داخل مكتبة **دير بانتوكراتور** المحصن، الذي يعود إلى العصور الوسطى، **ذي الانتماء الرُّومي الأرثوذكسي الرهباني في جبل آثوس باليونان**، ينقب الباحثون عن كنز مجهول تقريبًا في آلاف المخطوطات العثمانيَّة التي قد تكون الأقدم من نوعها في العالم.

وتعدُّ مكتبات الأديرة المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي أنشئت منذ أكثر من ألف عام **في شبه جزيرة آثوس شمال اليونان**، مستودعًا للأعمال النادرة التي تعود إلى قرون، بعدة لغات بما في ذلك اليونانيَّة والروسيَّة والرومانيَّة.

المخطوطات العثمانية الأقدم:

وقد دُرست العديد منها على نطاق واسع، ولكن ليس الوثائق التركيَّة العثمانيَّة، التي هي نتاج بيروقراطيَّة حكمت شمال اليونان منذ أواخر **القرن الـ ١٤** – قبل وقت طويل من سقوط العاصمة الروميَّة البيزنطيَّة القسطنطينية في يد العثمانيين في **العام ١٤٣٥**– حتى أوائل **القرن الـ ٢٠** عندما أصبحت المنطقة يونانيَّة مرَّةً أخرى.

ويقول الباحث في التاريخ **الروميّ** (البيزنطي) **جانيس نيهوف باناجيوتيديس**، إنَّهُ من المستحيل فهم اقتصاد ورهبنة جبل آثوس تحت الحكم العثماني دون الرجوع إلى هذه الوثائق، التي نظَّمت تعاملات الرُهبان مع السلطات المدنيَّة (غير الكنسِيَّة).

وتابع **باناجيوتيديس**، **الأستاذ في جامعة برلين الحرَّة**، بأنَّ أقدم الأعمال العثمانيَّة الموجودة في المكتبات الرهبانيَّة البالغ عددها **٢٥ ألفا** تعود إلى **عام ١٣٧٤** أو **١٣٧١م**. **وهذه أقدم من أي عمل مماثل معروف في العالم.**

وأضاف أنه في **إسطنبول** –كما أعاد العثمانيُّون تسمية **القسطنطينيَّة** عندما جعلوها عاصمتهم– تعود أقدم المخطوطات إلى أواخر **القرن الـ ١٥**.

وقال إنَّ « الوثائق الأولى التي تلقي الضوء (على الفترة الأولى من التاريخ العثماني) محفوظة هنا، **على جبل آثوس**، وتخزن الوثائق الأخرى الأندر في أدراج خشبيَّة كبيرة، وتشمل **فرمانات** –**أو مراسيم– السلاطين** المزخرفة والمزيَّنة، مثل صكوك الملكيَّة وقرارات المحاكم والبلاط».

وقال **أناستاسيوس نيكوبولوس**، اللاهوتي والأكاديمي المتعاون مع **جامعة برلين الحرَّة**، والذي كان يعمل مع **باناجيوتيديس** على المشروع خلال الأشهر القليلة الماضية، إنَّ «الغالبيَّة العظمى من الوثائق قانونيَّة».

وأثنى **الأكاديمي والباحث اليوناني مارينوس ساريانيس**، مُنسِّق قسم التاريخ العثماني **بمعهد دراسات البحر المتوسط اليوناني**، على الاهتمام الجديد بتلك المخطوطات في صفحته على موقع التواصل الاجتماعي تويتر. (**المصدر عن المخطوطات: الجزيرة + أسوشيتد برس**)

إسقيط النبي إيليَّا التابع لدير پانتوكراتور - جبل آثوس

من ذخائر وكنوز دير پانتوكراتور

السيّد المسيح الضابط الكلّ
أيقونة جدارية – رسمت عام ١٣٦٣

العذراء ييروندیسا العجائبيَّة

ذخيرة من الصليب المقدس الموجود في دير بانتوكراتور المقدس بجبل آثوس كذلك جزء من سترة المسيح غير المنسوجة (أسفل اليسار)
ويحتوي حجر من كنيسة القيامة (أسفل اليمين) أيضًا على ذخائر صغيرة لقسطنطين الكبير والقديسة هيلانة (أعلى اليسار واليمين)
حقائب خاصَّة التي يتم تثبيتها بمسامير خاصة على وعاء الذخائر الرئيسي الذي يشمل الصليب والذخائر

ذخائر للقديس يوحنا الذهبي الفم

ذخائر للقديس أندراوس الرسول

ذخائر للقديس المعترف ثيوفيلوس

فرمانات ومراسيم
من سلاطين الدولة العثمانيَّة
الموجودة في دير پانتوكراتور

الناسك والمتوَّحد الأب الموقَّر ثيوفيلوس في مكتبة الدير الفريدة

ذخائر
العادمي الفضة
كوسماس
وداميانوس
كيروس
ويوحنّا

أيقونة التجلّي الإلهي

أيقونة التجلّي أيقونة النُّور الالهيّ الذي أُعلن للرسل.

قال **القديس باسيليوس الكبير**: «إنَّ النُّور الذي ظهر على جبل ثابور في تجلّي الرَّبّ هو تهيئة لمجد المسيح في مجيئه الثاني». ويُجمِعُ كُلُّ الآباء على القول: أنَّ النُّور المُعلَن للرُسل هو **النُّور الالهيّ غير المخلوق، المجد الابدي** الذي شعّ في القيامة ويسطع في المجيء الثاني **للمسيح**. رأى الرُسل **الله** لأن **الله** نور. تُعَبِّر الايقونة عن ذلك برسم **يسوع** في وسطها «وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» (متى ١٧ : ٢)، يشعُّ النُّور منه ويصل شعاعٌ الى كُلٍّ من التلاميذ الثلاثة.

نُرتل في صلاة السَّحَر:

« أَيُّها الكلمة النُّور الذي لا يستحيل، نور الآب غير المولود، إنَّنا بنورك الذي ظهر اليوم على ثابور قد رأينا الآبَ النور والرُّوحَ النور المنيرَ الخليقة بأسرها». نرى **يسوع** ضمن دائرة، تَظهر في هذه الايقونة **باللون الاخضر**. تمثِّل هذه الدائرة المجد الالهي الذي رآه التلاميذ «حسبما استطاعوا» –**كما نرتل في قنداق العيد** – أي بقدرِ ما كانوا مستعدِّين لتقبُّل النُّور. يحيط **بيسوع موسى وايليا** « اَللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ.» (لوقا ٩ : ٣٢)، اي عن آلامه وقيامته. **موسى وايليا** يمثِّلان **الناموس والانبياء**، وهما اللذان شاهدا مجد **الله** في العهد القديم **بالرَّمز**، يشاهدان **الله** مباشرة **بالتجلّي** كما نرتل في غروب العيد: « إِنَّ الذي خاطب موسى على طور سيناء قديما... تجلَّى اليوم على جبل ثابور...».

نرى التلاميذ وكأنهم يقعون من جبل عالٍ خائفين مصعوقين امام المشهد الرَّهيب. التناقض كبير بين أعلى الأيقونة، حيث **المسيح مع موسى وايليا** يشكِّلون الدائرة الكاملة التي تُعَبِّر عن الابديَّة، وأسفل الايقونة، حيث التلاميذ يقومون **بحركات بشريَّة عجيبة** بعيدًا عن الهدوء والسلام. على جهةٍ من الايقونة نرى السيِّد صاعدًا الى الجبل مع التلاميذ الثلاثة، ونراهم نازلين على الجهة الاخرى. التلاميذ تجلَّوا ايضًا اي تحوَّلوا ليتمكَّنوا من رؤية النُّور أي رؤية **الله**. في آخر القداس الإلهيّ، نقول بعد ان نكون تناولنا جسد **الرَّبِّ** ودمه: « **قد نظرنا النُّور الحقيقي وأخذنا الرُّوح السماوي ووجدنا الايمان الحقّ**»، إشارةً إلى استمرار **التجلّي** في الذبيحة الإلهيَّة.

في التجلّي استُعلن مجد المسيح للتلاميذ لأول مرَّة.

† **المسيح ملتحِف بالنُّور كالثَّوبِ.**

† **موسى يمثِّلُ شريعة العهد القديم، وإيليا أنبياء العهد القديم، ويرمز إلى قيامتنا وصعودنا مع الرَّبِّ لأنَّهُ صَعَدَ في المركبة النارية. يتكلَّمان مع يسوع ويشهدان له.**

† **يوحنا: غير فاهم، مدحرج، يرتدي ثوبًا أحمر رمز المحبة.**

† **بطرس: يُكلِّم الرَّبّ.**

† **يعقوب: يغطِّي رأسه غير فاهم.**

† **الجبل: يمثِّل المسكونة بأسرها.**

† **التلاميذ: الإنسانيَّة التي قبل الصليب والقبر والقيامة، لم تكن تفهم وتعرف شيئًا.**

† **هالة المسيح: ترمز إلى المجد الإلهي.**

† **اللون الأزرق: غير مقترب إليه.**

† **الأسهم: شعاع النُّور الإلهي.**

† **يوحنا: مغمّض العينين غير فاهم ولكنه قابل كل شيء.**

† **بطرس: ٣ خيمات (خيمة الشهادة).**

† **الذين يحملون دُرجًا (كتابًا) في الأيقونة: هم الأنبياء و المبشّرون.**

«من الأعماق صرخت إليك يارب. يارب اسمع صوتي» (مزمور ١٢٩: ١).

ما معنى «**من الأعماق**»، فهو لم يقل ببساطة «**من فمي**»، لم يقل ببساطة «**بلساني**»، لم يكن الذِّهن يَتجوَّل عندما خرجت الكلمات، بل خرجت الصلاة من **أعماق القلب**، بِغيرةٍ شديدة وحماسة، من عمق أعماق الذِّهن. هكذا تكون أنفس الحزانى، ينفعلون بكامل قلوبهم، مُصَلِّين **لله** بندمٍ وانسحاقٍ عميقٍ، وهذا هو بالضَّبطِ السَّبب في أنَّ صلاتهم تُسمع. فصلاةٌ مثل هٰذه، تكون لها في الحقيقة قُوَّةٌ هائلة، بحيث لا تسقط ولا يمكن تقويضها، حتى ولو **هاجم الشَّيطان بشدة**.

على سبيل المثال، الشجرة القويَّة تُرسِل جذورها إلى عمقٍ كبير في الأرض، فتقاوم بذٰلك أيّ رياح عاصفة، بينما الشجرة التي تبقى على السطح تتزحزح من أي نسمة هواء خفيفة تهب، فتُقتلع وتسقط على الأرض. كذلك أيضًا الصَّلوات الصاعدة من العمقِ بعد أنْ تُرسل الجذور إلى الأعماق، تبقى شديدة وثابتة غير متزعزعة، ولا تفشل أبدًا، حتى لو هاجمتها مصادر تشويش بلا عدد أو **مجموعة كاملة من الشياطين**. أما الصلوات التي تنطلق من الفَمِ والشفاة فقط، ولا تصعد من الأعماق، **لا يمكنها أن ترتفع** إلى الله، وذلك بسبب **لامبالاة** المُصَلِّي. أعني، أنه إذا صدر أيُّ صوتٍ مباغت أثناء الصلاة، مثل هؤلاء ينزعجون، وأي تشويش يحدث يفصلهم بعيدًا عن الصلاة، وعلى الرغم من أنَّ الفمَ يُعطي نفسًا، إلَّا أنَّ القلب يكون فارغًا والذِّهن شاغرًا.

ولكن **القديسين** لا يصلون بهذه الطريقة، لكنهم يُصلُّوا بحرارةٍ شديدة حتى أنهم أحيانًا ينحنون بكامل الجسم. على سبيل المثال، **إيليا المبارك** في صلاته، بحث أولًا عن العُزلة، ثم وضع رأسه بين ركبتيه، مُتضرعًا بغيرة وحرارة شديدة، وبهذه الطريقة قدَّم صلاته. وإذا كنت تُفضل أيضًا رؤية شخص واقف أمام الله مُنتصبًا في الصَّلاة، تطلَّع إليه (إيليَّا النبيّ) مرَّةً أخرى وهو يبلغ إلى السماء بصلاته بغيرةٍ شديدة، حتى أنه يُحضر نارًا من السماء (١ مل ١٨). وعندما أراد أنْ يقيم ابن الأرملة، تمدَّد تمامًا عليه وأجرى هذه الإقامة، لم يُصِبْهُ الذهول أو الصدمة - **كما قد يحدث معنا أمام الموت** - بل كان مُلتهبًا بحماسة متَّقدة في صلاته. (١ مل ١٧).

لماذا أذْكُر **إيليا** وغيرَهُ من **القدِّيسين؟** كثيرًا ما رأيت نساءً تنطق صلواتهن من الأعماق بهذه الطريقة، من أَجْلِ زوج مسافر أو طفل مريض، ويذْرِفْنَ دموعًا غزيرة من أجل تحقيق هدف صلاتهنَّ. إذا كانت المرأة تُظهر مثل هذه الحرارة في صلاتها من أجل طفل أو زوج متجوِّل، فأيُّ عذرٍ يكون هناك **للرَّجلِ الفاتر ذي الرُّوح المائتة؟** لهذا السبب، بلا شكّ، كثيرًا ما ننصرِف **خالي الوِفَاض** من صلاتنا. استمعوا إلى قصة **حنَّة (أم النبي صموئيل)**، وكيف صَلَّت من الأعماق، وسكبت دموعًا غزيرة، وكيف ٱرتقت من جراء صلاتها (١ صم ١). من يُصلِّي هكذا، حتى قبل أنْ يحصلَ على ما يطلبه، يجني فوائد جمَّة من صلاته، فيقمع **كُلَّ أهوائه**، ويُسكِّن **الغضب**، ويُقاوم **الحسد**، ويُخمِد **شهوة** أمور هذه الحياة، **ويُخضِع النفس إلى هدوء كامل**، وأخيرًا يُصعِد النفس إلى السَّماء عينها. بعبارة أخرى، تمامًا كما يسقط المطر على أرض قاسية – أو النار على الصُلب – **فَيُلَيِّنَهَا**، هكذا أيضًا الصَّلاة التي من هذا النوع، تُليّن وتُخفِّف قسوة النفس في أهوائها بشكل أكثر فعاليَّة من النَّار، وأكثر تأثيرًا من المطر. النفس البشريَّة طيِّعة ومرنة، لكن كما يحدث أحيانًا مع مياه النهر إذ تتجمَّد وتصير جليدًا، هكذا أيضًا نفوسنا قد تتقَسَّى وتتحَجَّر من **جراء الخطيَّة واللامبالاة الشَّديدة**. لذلك، نحن في حاجة إلى الحرارة والغيرة حتى يمكننا تليين **القساوة الداخليَّة**. هذا هو ما تُحقِّقه الصَّلاة على وجه التحديد. لذلك، عندما تمارس الصلاة، لا تتطلَّع فقط للحصول على ما تطلبه، **بل تطلَّع أيضًا لكي تجعل النفس في حالة أفضل من الصلاة ذاتها، فهذه هي وظيفة الصلاة بالنهاية**. الإنسان الذي يُصلِّي بهذه الطريقة يرتفع فوق **الاهتمامات الدنيويَّة**، ويعطي أجنحة للذهن، ويجعل الدماغ أقل ثقلًا، ولا يقع ضحيَّة لأيٍّ **من الأهواء**.

«**من الأعماق صرخت إليك يارب**». هنا يقدم نقطتين، الصلاة من العمق، والصراخ، لا يعني بالصراخ هنا **نبرة الصوت** بل نزعة التصرُّف.

«**يارب أسمع صوتي**»، نتعلَّم أمرين من هنا، أولًا: أنَّهُ ليس من الممكن تحقيق ما يأتي من اللهِ، إذا كان لا يتقدمه ما يأتي منَّا، لذا قال أولًا: «من

الأعماق صرخت»، ثم قال عندئذ فقط: «**أسمع صلاتي**».

ثانيًا: أنَّ مثل هذه الصلاة المُتَّقِدَةُ، التي ترافقها دموع التوبة، لها قوَّة كبيرة مؤثِّرة تجعل الله يلبي مطالبنا. وكشخصٍ حقَّق شيئًا رائعًا مُقدمًا مساهمة شخصيَّة، أضاف: «**يارب أسمع صوتي**». «**لتكن أذناك مُصغِيَتين إلى صوت تضرعاتي**». هو يَدْعُو قُدرة السمع «**أُذن**»، ويقول أيضًا: «**صوت**»، مُشيرًا لا لحركة الصوت، ولا للصراخ؛ بل لقوَّة الاستعداد.

«**إنْ كنتَ للآثام راصدًا ياربُّ ياربُّ فمن يقف؟**». بعبارة أخرى، في حالة إنْ قال شخصٌ ما: «**أنا خاطئ، أنا ممتلئ بخطايا بلا عدد، أنا لا أستطيع أن أقترب وأصلي وأدعو الله**»، يجرِّده من هذه الحجة بقوله: «**إنْ كنتَ للآثام راصداً ياربُّ ياربُّ فمن يقف؟**»، فهو يعني هنا: «**لا أحد يمكنه ذلك**». لأنَّهُ من المستحيل، من المستحيل أنْ يقدِّمَ أيُّ شخصٍ حسابًا دقيقًا على تصرفاته، ويحقِّق بذلك الرَّحمة والرأفة. نحن نقول هذا الكلام، لا لكي ندفع النفوس إلى اللامبالاة، بل **لكي نعزِّي** أولئك الذين **وقعوا في اليأس**. « مَنْ يَقُولُ: «إِنِّي زَكَّيْتُ قَلْبِي، تَطَهَّرْتُ مِنْ خَطِيَّتِي»؟» (أمثال ٢٠: ٩).

لماذا أتجاوز **بولس** وأذكر آخرين؟ لأنَّني أنْ أخترت أنْ أطلبَ منه إجراء فحص دقيق لأفعاله (أي بولس الرسول)، فلن يستطيع الوقوف. أعني، ماذا يمكنه حتى قوله؟ لقد قرأ أسفار العهد القديم عن كثب، وكان متحمسًا لناموس الأجداد، لقد رأى آيات وعجائب تُصنع، وبالرغم من ذلك **واصل اضطهاده**، ولم يتوقف عن ذلك إلَّا عندما شاهد تلك الرؤية العجيبة، وسمع الصوت المهيب (**وهو على طريق دمشق**) «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ،»، لكنه قبل ذلك كان يعمل بإصرار على إزعاج وتشويش كُلِّ شيء. إلَّا أنَّهُ بالرغم من ذلك، دعاه الله – غافلًا عن هذا كله – وَحَسِبَهُ مُستحقًّا لنعمةٍ عظيمة.

وماذا عن **بطرس القائد؟** ألم يكن مُخطئًا بسقوطِه في هذه **السقطة البشعة**، (أنكر السيِّد المسيح ثلاث مرَّات قبل الصَلَّب) على الرغم من المعجزات والآيات التي لا تحصى، وعلى الرغم من التشجيع والمشورة؟ إلَّا أنَّ الله تغافل عن هذا، وعيَّنه أوَّل الرسل، ومن ثم قال له: « سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ!، وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ» (لو٢٢: ٣٢). لأنَّه إنْ لم يباشر **الرَّبّ** الدينونة بالرحمة والشفقة، وبدلًا من ذلك أجرى حسابًا دقيقًا، سوف يجد الجميع مذنبين في كُلِّ النقاط. لذلك قال **بولس**: «فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا.» (١ كو ٤: ٤).

«**إنْ كنتَ للآثام راصداً ياربُّ ياربُّ**». التكرار هنا لا يخلو من غرض، فهو يأتي من دهشته وذهوله أمام إتساع محبة الله ورحمته، وجلاله اللانهائي، وعظمة صلاحه غير المتناهي. «**فمن يقف؟**»، لم يقل: «**من يهرب؟**» بل «**من يقف؟**»، فهو يقول: أنَّهُ لن يمكنه الصُمود والوقوف بثبات.

«**لأنَّ من عندك المغفرة**». ماذا يعني: «**لأنَّ من عندك المغفرة**»؟ يعني أنَّ إمكانيَّة النجاة **من العقاب** تعود لصلاح الله **لا** لأعمالنا الصالحة.

بعبارة أخرى، تجنُّب الدينونة يعود إلى محبة الله ورحمته. إنْ لم ننتفع بها، **فلنْ** تكفيَ جهودنا على ٱنتزاعنا **من الغضب الآتي**. هذا يشير إليه أيضًا، من خلال الكاتب الموحَى إليه، القائل: «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ» (إش٤٣: ٢٥)، أي أنها تصدر من صلاحي، من محبتي ولطفي. إذًا، وبكلمات أخرى، ما تبذلونه من جهد لَنْ يكون كافيًا أبدًا للتحرُّر **من العقاب**، ما لم يسند ذلك أيضًا ويدعمه أفعال محبتي ورحمتي الواسعة. ويقول ايضًا: «وَأَنَا أَرْفَعُ، وَأَنَا أَحْمِلُ وَأُنَجِّي.» (إش ٤٦: ٤).

«**من أجل أسمك صبرت لك ياربُّ، صبرت نفسي لناموسك، انتظرت نفسي الرَّبّ**». نسخة أخرى تقول: «**من أجل ناموسك**»، وأخرى تقول: «**من أجل معرفة كلمتك**». ما يعنيه شيء من هذا القبيل: على حساب محبتك الواسعة وناموسك، أتطلَّع لخلاصك، لأنَّهُ إذا كان لي أنْ أعتمدَ على إمكانيَّاتي الخاصة، لكان قد **أصابني اليأس** منذ فترة طويلة، وتخليت عن المسيرة منذ زمنٍ بعيد. لكن لكوني أُلازم ناموسك وكلمتك المقدَّسة، لذا فعندي رجاءٌ ثابت. أيُّ كلمة؟ كلمة المحبَّة والرحمة، فهو الذي يقول: «لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ.» (إش٥٥: ٩)، وأيضًا: «لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ.» (مز١٠٣: ١١)، وأيضًا: «كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا.» (مز١٠٣: ١٢). بعبارة أخرى، أنا لست أُخَلِّص فقط **الفُضلاء**، بل قد صفحتُ عن **مذنبين**، وفي وسط ذنوبكم برهنت على تعضيدي ورعايتي لكم.

والآن، ماذا يعني: «**من أجل أسمك**»؟ هو يقول : على الرغم من أنِّي **خاطئ وممتلئ بشرور لا تُحصى**، إلَّا أنَّني أعلم أنَّهُ في حالة إستباحة أسمك، لن تغفل عنَّا **ونحن نهلك**. هذا ما قاله **الرَّبُّ** فعلًا في سفر حزقيال: « لَيْسَ لأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلْ لأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَّسْتُمُوهُ فِي الأُمَمِ» (حز ٣٦: ٢٢)، أي على الرغم من عدم إستحقاقنا للخلاص، وليس لدينا أي توقع إيجابي من جراء أفعالنا، إلَّا أنَّهُ من أجل ٱسم **الرَّبِّ** نتطلع للخلاص، ورجاء الخلاص هذا يمكث معنا. «**صبرت نفسي لناموسك. انتظرت نفسي الرَّبّ**»، أي أنَّ لي في وعودك الصادقة والضمانات الثابتة التي لمحبتك وصلاحك **مرساة مقدَّسة**، لذا لم أفقد الرَّجاء، بل أنتظِرُكَ.

«**من محرس الصبح إلى الليل فلينتظر إسرائيل الرَّبّ**». هو يقول: كُلُّ هذه الحياة، كُلُّ الليل والنَّهار، ليس هناك شيء فعَّال جدًّا للخلاص **مثل السَّهر والانتظار المستمر**، مُعتمدًا على هذا الرَّجاء، حتى ولو حاصرتنا مشاكل لا حصر لها تدفعنا **إلى اليأس**. هذا هو الجدار الذي لا يمكن ٱختراقه، هذا هو الأمان الحصين، هذا هو البرج المنيع. حتى ولو أنذرت الظروف بالموت أو الخطر أو الموت، لا تتوقف عن الرَّجاءِ في الله، متوقعًا خلاصه، فكُلُّ شيء سهل وبسيط بالنسبه له، فهو قادر على أنْ يجدَ وسائل عندما لا يكون هناك مخرج. وبالتالي، لا تتوقَّع أن تتمتَّع بالمساعدة فقط عندما تسير الأمور بنجاح، بل بالأحرى في ذلك الوقت أكثر من أي شيء عندما تكون هناك **عواصف وتجارب، وخطر وقوع كارثة شديدة** يخيِّم عليك، آنذاك على

وجه الخصوص يُقدِّم الله بيِّنة على قدرته. هذا إذن ما يعنيه: في جميع الأوقات، يجب عليك ٱنتظارُ **الرَّبِّ**، كُلَّ أيامك، وكل حياتك.

«**لأنَّ الرحمة من عند الرَّبّ. عظيم هو خلاصه وهو يفتدي إسرائيل من كل آثامه**». ما معنى «**الرحمة من عند الرَّبّ**»؟ ينبوع وكنز من محبة الله ورحمته نجدها هناك، فهو يقول أنها تتدفَّق باستمرار. وحيث توجد الرحمة هناك أيضًا الفداء، وليس فقط الفداء بل أيضًا الفداء الكامل، محيطٌ لا حدود له من رحمة الله. لذلك، حتى ولو كُنَّا قد فقدنا الأمل بسبب **كثرة خطايانا**، لا يجب علينا أنْ نيأسَ، لأنَّهُ حيثما توجد الرَّحمة والمحبة، المحاسبة على الخطايا لا تؤخذ بدقة متناهية، لأنَّ القاضي يغفل عن الكثير بسبب رحمته الواسعة وميله للمحبة والرأفة. هكذا هو الله، فهو مؤيِّد وميال نحو إظهار الرحمة وتقديم العفو.

«**يفتدي إسرائيل من كل آثامه**». إذا كان الله هكذا يسكب من فيض محبته في كُلِّ مكان، من الواضح أنَّهُ سوف يخلِّص أيضًا شعبه، ويحرِّرهم ليس فقط من العقاب بل أيضًا **من خطاياهم**.

واضعين هذا نُصب أعيننا، لنواصل مناشدتنا وتوسلاتنا لله، ولا نكُفَّ أبدًا، سواء إنْ حصلنا على ما نُصلِّي من أجله أم لا. لأنَّهُ كما أنَّ في سلطته العطاء، في سلطته أيضًا الميعاد، فهو يعلم على وجه التحديد الوقت المناسب لذلك. وبالتالي، علينا أنْ نواصلَ الصلاة والتوسُّل، بكل ثقة في محبتهِ ورحمتهِ الواسعة، ودعونا لا نيأس أبدًا من خلاصنا، لكن علينا أنْ نقدِّم ونساهمَ بالعمل الذي يخصُّنا، أمَّا ما يخصُّ الله فسوف يتبع بسِعَةٍ ووفرة، لأنَّ رحمَتَهُ لا يُعبَّر عنها ومحبَّته هي بلا حدود. ليكن نصيبنا جميعًا الملكوت، بفضل نعمة ومحبة **ربنا يسوع المسيح**، الذي له المجد مع **أبيه والرُّوح القُدُس** إلى أبد الآبدين. آمين.

كان **القدِّيس أنطونيوس** مِنْ أوائلِ الرُّهبان الذين تركوا العالم هاربين إلى البريَّة وهو يُعتبَر أبَ الحياة الرهبانيَّة. كثيرًا ما يُذكر في الكنيسة أنَّهُ: «**معلّم البرّيَّة**». تجمَّع مع الوقت كثير من الرهبان حول مَنْسِكِهِ. هؤلاء وجدوا الهدوء والسلام في وجهِهِ وأقاموا بقربِهِ.

حارَبَ **الشيطانُ القدّيسَ أنطونيوس** مثل كلّ القدّيسين الآخرين. حاول بِحِيَلٍ مختلفةٍ أنْ يوقعهُ في فخِّهِ. إلَّا أنَّ رَجُلَ الله كان يحاول بِكُلِّ طريقة أنْ يواجهَ **حبائل الشِّرِّير**. في أحد الأيام، حاول **الشيطانُ** أنْ يُقنع **أنطونيوس** بأنَّ فضيلته التي وصل إليها بلغت رُتبةً عاليةً جدًّا. بحيث أنَّهُ في البرِّيَّة وأيضِا في المدينة، لا يوجد شخصٌ مثله في الفضيلة والتقدُّم الرُّوحي. **وشوش الشيطان** بأذنِهِ (بِأُذنِ القديس أنطونيوس):

- تَطلَّع يا أنطونيوس وٱنظر. مَن مِثلُك قد وصل إلى هذه الحدود؟ لا أحد. مَن يصوم ،مَن يصلّي، مَن يحبُك كما تفعل أنت؟ لا أحد.

ظهر لبرهة أنَّ **أنطونيوس الكبير** يُصغي لهذا الفكر إلَّا أنَّهُ أدرك **حيلة الشيطان** مباشرة. الله الذي لم يسمح بأن يُخطئ **القدِّيس أنطونيوس** وجد طريقة ليُعلِّم هذا **الناسك الكبير**.

في ذلك المساء بعد أنْ أنهى رَجُلُ الله صلاته الحارَّة وأقفل قنديلَ الزيت، وأغلق أجفانه قليلًا. حينها سمع صوتًا إلهيًّا يرشده بوضوح: في الطريق المؤدّية إلى **الإسكندرية** تجد إسكافيًّا يفوقك قداسةً **يا أنطونيوس**.

هبَّ **أنطونيوس** من نومه: **إسكافي**؟ هل من الممكن؟ **إسكافي** يفوق أنطونيوس الكبير في النسك والفضيلة؟ حسنًا في الغدِ صباحًا أنا ذاهب إلى **الإسكندرية** .

بعد أن أشرق الله صباحه، تناول **أنطونيوس الكبير** عصاه وانطلق إلى المكان الذي أرشدَهُ إليه الله.

«إسكافي في الإسكندرية أعظم من نسّاك البرّية»، كان يُردّد **أنطونيوس** مرارًا.

في الطريق الفرعية المؤدّية إلى **الإسكندرية** هناك دكّانٌ صغير **إسكافي شيخ** ليس عنده مِّيزات خاصَّة، بسيط وقليل الكلام، كان يُصلح حذاءً باجتهاد وعناية.

«**إقلوجيسون (باركوا)**». قال الإسكافي للرَّاهب المتواضع.

«**تو كِيريُو (الربُّ يباركك)**». أجاب القدّيس أنطونيوس ببساطة.

تابع **الإسكافي** عمله في تصليح الحذاء وهو يدمدم أحد المزامير.

«قلْ لي، أسعدك الله، يا بُنيّ كيف تُمضي أيّام حياتك؟».

«لا أعرف يا أبانا إن كنتُ قد صنعتُ خيرًا لأحدٍ ما، ولا أتذكَّر إحسانًا ما عملتُه».

«وكيف تُمضي حياتك؟» قاطعه الأب أنطونيوس مُتحيّـرًا.

«ها أناذا كُلَّ صباحٍ أنهضُ وأقول لفكري: كُلُّ سكانِ الإسكندريَّة، والذين يسكنون أبعد من ذلك، والذين لا أعرفهم كلّهم سيخلصون إلَّا أنا بسبب خطاياي الكثيرة فسأهلك. يعبر نهاري كلُّه بهذا الفكر. عند المساء أيضًا أتأمَّل بالفكرة ذاتها».

نهض **أنطونيوس** وعانق **الإسكافي الفقير** وقبَّله بتأثُّرٍ كبير وقائلًا: «أنت يا بُنيَّ قد اشتريت الكنز الثمين بتعبٍ بسيط! أمَّا أنا فقد شختُ في البرّية في الجهادات والأصوام إلَّا أني لم أصل إلى تواضعك»

ثم سلَكَ **الناسك العظيم** طريق العودة مُنتفعًا جِدًّا.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتيوس خوندروبولوس

الفصل الثاني والثلاثون

«ثُمَّ إِنَّ إِرْمِيَا مَدَّ يَمِينَهُ، وَنَاوَلَ يَهُوذَا سَيْفًا مِنْ ذَهَبٍ، وَقَالَ:» (٢ مكابيّين ١٥: ١٥).

«اَلذُّبَابُ الْمَيِّتُ يُنَتِّنُ وَيُخَمِّرُ طِيبَ الْعَطَّارِ. جَهَالَةٌ قَلِيلَةٌ أَثْقَلُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمِنَ الْكَرَامَةِ.» (سفر الجامعة ١٠: ١).

وقبل متابعة سَرْدِ الأحداث، سوفَ نورد أيضًا رسالتين مُميَّزتين، يروي **نكتاريوس** في إحداهما حُلمًا رآه في نومه، بينما تمثِّل الثانية دليلًا فريدًا لانحرافات الحُبِّ البشري الذي يتوجَّه مُباشرةً إلى الشخص الآخر، دون أن يستند إلى حُبِّ الله. وقد أرسَلَ الأولى بتاريخ ١٢ تشرين الأوَّل ١٩٠٧، وكتَبَ فيها:

«أكتُبُ لَكُنَّ لحظة نهوضي من السريرِ، لِأَقُصَّ عليكُنَّ حُلمًا كان له فِيَّ عظيم التأثير، وهو التالي:

كنتُ واقفًا أمام **اللَّارنكة** (الصندوق المعدني) الذي يحوي ذخائر **القديس نيقولاوس**، وكنتُ أنظر إلى **القديس** وأراه وكأنَّه نائم. ثمَّ تهيَّأ لي بأنَّه يتحرَّك. ثمَّ فتحَ عينيه، ونَهَضَ وجَلَسَ، ومَدَّ لي يَدَه. فانحنيتُ باحترامٍ لِأُقَبِّلَهُ، فأخذني بين ذراعيه وقبَّلني في فمي ثلاث مرَّات، وأنا قبَّلته كذلك. ثمَّ نَظَرَ إليَّ وقال لي: «سوفَ أرفَعُكَ عاليًا، عاليًا جدًّا؛ ولكنِّي أُريدُ أن تصنع لي عَرشًا فِضِّيًّا». هذا كُلُّ ما قاله لي، وبعد ذلك استلقى من جديد ونام فيما أنا أصحو. وما إنِ استيقظتُ حتى تذكَّرتُ بأنِّي شاهدتُ الحُلم نفسه منذ ثلاثة أيَّام ونسيته بعد ذلك. وتذكَّرتُ أيضًا بأنَّ **القديس** في المرَّة الأولى قد نَهَضَ وقبَّلني فقط دونَ أنْ يقولَ لي شيئًا. وقد أعلمني برغبته هذه وبِطَلَبِهِ في الحلم الثاني.»

« هذا هو الحُلم الذي ترك في نفسي أثرًا عظيمًا، أكتبه لَكُنَّ لطابعه الكاشف لإعلانِ **القديس** وطلبه. وقد حاولتُ أن أتحرَّى حقيقة الحُلم. ويبدو لي أنَّه حقيقي، ولكني حتى الآن لم أبدِ أيَّةَ رَدَّةِ فعلٍ. ليحفظنا **الرَّبُّ** في الأعمالِ الجيِّدة! إنَّ الكنيسة التي زَيَّنتُها وَجمَّلتها في **القاهرة**، والتي كانت ترزح تحت الفقر المُدقِع ثمَّ التَحفَت وارتدَت حُلَّتها البرَّاقة، هي على اسم **القديس نيقولاوس**. وهذه هي المرَّة الأولى في حياتي التي أرى فيها **القديس نيقولاوس** بالحُلمِ يُقبِّلني وَيُكلِّمني. تبارَكَ اسم **الرَّبُّ** ...».

وقد كتَبَ الرسالة الثانية في ٥ كانون الأوَّل ١٩٠٧، رَدًّا على رسالة كثيرة الإطراء، وَصَلَتْهُ من **الأُخت سنكليتيكي – ماريًّا خاسيوتو** سابقًا:

« لقد فَترَت نفسِي كثيرًا من جهة **سنكليتيكي** لدرجة أنِّي فقدتُ كُلَّ اهتمامٍ بها، والسبب هو حالتها الرُّوحيَّة. فأنَا أُحِبُّكُنَّ يا صديقاتي ليس بسبب حُبِّكُنَّ لي، بل بسبب حُبِّكُنَّ لسيِّدنا **يسوع المسيح**. إنَّ حُبَّنا المُشترَك للسيِّد هو الذي يُدَفِئُ قلبي تُجاهَكُنَّ. فإذا ابتَعَدَت إحداكُنَّ في قلبِهَا عن **الرَّبِّ**، واستسلَمت **لغرورِ العالم وأهواءِ النَّفس**، فإنَّ حُبِّي لها يتوقَّف، لأنَّ هذه الأُخت قد حَطَّمت رابطَ الحُبِّ بيننا عندما فقَدَت **حُبَّ المسيح**. إنَّ السلسلة التي تربطنا هي حُبُّنا المشترك **للمسيح**. وهكذا تُصبح **برودتي** نحوها نتيجةً **لابتِعادِهَا عن المسيح**. إنَّ الحُبّ البشري الذي تحمله لي لا يُدَفِئُ قلبي، لأنَّهُ حُبٌّ غريب عن **المسيح**. ويستحيل عليَّ أن أحملَ في قلبي حُبَّين: الأول **بحسب الله**، والثاني بحسب **البَشَر**. وعندما ينمو مثل هذا الحُبّ عند أحَدِ الطَرفين، فإنَّه يُوَلِّدُ كُرهًا عند الآخر. أمَّا إذا نَمَا عند الطَرفين معًا، فإنَّه يُوَلِّد الهوى، أكانا ذكرًا وأُنثى، أم من الجنس نفسه. وخصوصًا إذا كان الطَرَفَان ميَّالَيْنِ إلى الأهواءِ. علينا أن نُراقبَ كُلَّ يوم بِدِقَّةٍ حُبَّنا المُتَبادل، لنعرف ما إذْ كان يأتي بالفعلِ مِنَ الذي هو **رباط الحُبِّ ومِلْؤُهُ، أي المسيح**. والآن لا بُدَّ أن تَفهَمْنَ سبب صرامة هذه الرسالة التي أكتبها **لسنكليتيكي**، فقد أردتُ أن أوقِظَهَا لأنِّي شعرتُ بأنَّ قلبها قد بَرَدَ **تُجاه المسيح**، وأنَّ حُبًّا بَشَرِيًّا بدأ ينمو في قلبها، وهو حُبٌّ قد يقودُ إلى الهوى إذا أغضَيْتَ عنه أو سُرِرْتَ به. لقد **بدأ الشِّرير يُضِلُّها في غفوتها** ...».

(يتبع)

أقوال عاضدة للخلاص

١) مِنَ السَّهلِ أنْ تطلبَ أشياء **من الله**، ولا تطلب **الله نفسه**، كأن العطيَّة أفضل من العاطي.

٢) لقد كنتَ معي ولكن أنا من أجل شقاوتي لم أكن معك **يا الله**.

٣) إحذر من اليأس من نفسك !، فقد أوصيتَ أنْ تتكِلَ **على الله** لا على ذاتك.

٤) ربِّي.. لست أدري ما تحمله لي الأيام، لكن سيِّدي الحبيب يكفيني شيئًا واحدًا: **ثقتي أنَّكَ معي تَعتني بي وتحارب عني**.

٥) جيِّدٌ ألَّا تخطئ، وإنْ أخطأت فجيد ألَّا تؤخر التوبة، وإنْ تبت فجيد ألَّا تعاود الخطيَّة.

٦) إنْ ضعفتَ يومًا، فاعرف أنَّكَ نسيت **قوَّة الله**.

٧) توجد صلاة بلا ألفاظ بلا كلمات... خفق القلب صلاة.... دمعة العين صلاة ..... **الإحساس بوجود الله صلاة**.

٨) لا تخف من تجارب إبليس، فالشيطان لا يستطيع أنْ ينصب فخاخه في الطريق، لأنَّ الطريق **هو المسيح الذي هو الطريق، والحقّ والحياة**. لكن الشيطان ينصب فخاخه على جانبي الطريق.

تتمة من العدد السابق

الإصحاح الرابع
العظة الثانية عشر: (١كو٤: ٦-٩)

يقول: «**فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ. لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ.**» (**١كور ٤: ٩**).

مرَّةً أُخرى يُعيد التأكيد على ما سَبَقَ وَطَرَحَهُ بتشديدٍ كبير، بأنْ يقول: «**نحنُ**»، ولم يَكتَفِ بهذا فقط، بل أضافَ **رتبة الرُسل**، مُؤَنِّبًا هؤلاء بِشِدَّةٍ، إذ يقول «نَحْنُ الرُّسُلَ»، أي نحنُ الذين تحمَّلنا شرورًا لا حصرَ لها، نحن الذين بَذَرنا بِذَارَ كرازَةِ التُّقوى، نحنُ الذين قُدناكم إلى هذه الحِكمة. **أُبْرِزْنَا** كآخر الناس، كأنَّنا محكومٌ علينا بالموتِ. ولأنَّهُ قال: «لِنَمْلِكَ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكُمْ!»، وخفَّفَ بهذه العبارات من قَسوةِ التأنيب، ولكي لا يجعلهم يَفتَرون، يعودُ ويُكَرِّر بمرارَةٍ أكثر، فيقول: «فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ.». وكأنَّهُ يقول كما أرى، وكما تقولون أنتم، أنَّنا نحنُ المحتقرين والمحكوم علينا، فنحنُ دومًا مُحاصَرونَ بالمتاعب، بينما أنتم تتصوَّرون أنَّكم مَلَكتم وأنَّكم مُكَرَّمون وقد نلتم المُكافآت. لأنَّه كان يُريدُ بكلامه هذا، أنْ يُبَيِّن أنَّ الحالة التي كانوا يعيشونها، هي حالة **مُخالفة** للعقلِ والمنطق، وهي حالة غير منتظرة وغير مُحتملة على الإطلاق، فهو لم يَقُل فقط «**آخرين**»، بل قال: «أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ»، ولم يَكتَفِ بهذا، بل أضافَ: «كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ.»، وذلك لكي يرى الجاهل، إلى أيِّ مدى وصَلَ بِهِ الأمرُ، قال هذا لِعَدَمِ تحمُّل مسلك هؤلاء وأنَّ هذه الكلمات تأتي من شخصٍ مُتَأَلِّمٍ، مُتَضايقٍ، ويُحاول بِكُلِّ الطُرُقِ **أن يجعلهم يخجلون**.

٣- لاحظ مدى حِكمة وتعقُّل **الرسول بولس**، إنَّه بنفسِ الكلمات التي يَتَطلَّبها الظَّرف، يسمُو بنفسِهِ، ويُقدِّم لهم **ذاته الوقورة والعظيمة**.

بهذه الكلمات هو يؤنِّب هؤلاء، لاعتبار أنَّه مُدان. وهكذا من المُمكن أنْ يفعلَ كلّ شيء عندما يستدعي الظَّرف هذا. هنا بالطبع هو يصف المُدانين بأنَّهم **أمواتٌ**، وأنَّهم مستحقون ميتاتٍ كثيرةٍ جِدًّا.

«لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ.» (١كور ٤: ٩). ماذا يعني بقولهِ صرنا منظرًا للعالم؟ يعني أنَّه لم يُعانِ من هذه الأمور في زاويةٍ ما، ولا في مكان صغير من المسكونة، بل المُعاناة كانت في كُلِّ مكان وفي كُلِّ موضع. وماذا يعني بقوله منظرًا للملائكة؟ يعني أنَّه من الممكن أن تكون مسرحًا للناسِ، لكن ليس للملائكة، حين تكون الأحداث زهيدة، لكن جهادنا هو **من الأهميَّة بمكان**، حتَّى أنَّه يستحقّ أنْ تَطَّلِعَ عليه الملائكة. لاحظ كيف أنَّهُ وهو يُحَقِّر نفسه، يعود فيُقدِّم **مدى عظمة هذه النفس**. وبينما يفتخر هؤلاء بما لديهم، نجده يُبرزهم كَسُفَهَاء، أي أنَّهُ اعتبرهم أكثر تفاهة من حيث أنَّهم **حمقى**، وهم يَدُون عُقلاء، ومن حيث أنَّهم ضُعفاء بالحقيقة، وهم يعتقدون أنَّهم قد صاروا أقوياء، ومن حيثُ أنَّهم بالفعلِ مُحتَقَرون، أكثر كونهم مُمجَّدين ومعروفين. ولأنَّه كان يُريد أنْ يُعطي لهؤلاءِ الحكمة، أمَّا الجهل والمتاعب والضِّيقات فيأخذها لنفسِهِ، ويُبرهن على أنَّ هذه الآلام هي أسمى بكثير من تلك المُكافآت، لأنَّه بسبب هذه الآلام، يكون قد نَجَحَ في أنْ يراه ليس الناس فقط، بل مجمع الملائكة أيضًا. لأنَّ معركتنا ليست ماثلة أمام البَشَر فقط، بل وأمام القوَّات غير الجسدانيَّة أيضًا، ولهذا صارَ هذا المشهد عظيمًا.

«**نَحْنُ جُهَّالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحُكَمَاءُ فِي الْمَسِيحِ! نَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَقْوِيَاءُ! أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ!**» (**١كو٤: ١٠**).

يعود مرَّةً أُخرى وَيُكَرِّرَ ذلك، حتى يُثير فيهم خَجَلًا، مُبرْهِنًا على أنَّه من المستحيل أنْ تحدثَ هذه المُتناقضات، وإنَّهُ من غير الممكن أنْ يجتمعَ في نفس المكان أُناس متناقضون إلى هذا الحَدِّ. أي كيف يكون ممكنًا في موضوعات لها علاقة بالمسيح، أنْ تكونوا

أنتم حُكماء، ونحنُ جُهَّالًا، **فهؤلاء الرُسل** قد جُلِدوا، وأُهينوا، واحتُقِروا، واعتُبِروا كلا شيء، وهؤلاء من أجلكم تكلَّموا بهذه الأمور، أي كيف يكون ممكنًا لهؤلاء أن يَكرِزوا بتعاليم تُثير كُلَّ هذا التناقض؟.

«نَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَقْوِيَاءُ!». بمعنى أنَّنا مُطارَدون، ومحكومٌ علينا، أمَّا أنتم فلا تخشوَن شيئًا، بل صرتم موضع عناية واهتمام. ثمَّ يضيف: «أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ!». إنَّه يُخاطب أصحاب الأصلِ النبيل، والذين يفتخرون بالأمورِ العالميَّة.

«إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ، وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ.» (١كو ٤: ١١-١٢).

ما يعنيهِ هنا أنَّه لا يروي أُمورًا قد حدثت قديمًا، بل أُمورًا تشهد عليها الحقيقة الحاضرة. لأنَّنا – هكذا يقول – لا نتكلَّم أبدًا عن الأمور البشريَّة، ولا عن مجد هذا العالم، بل نَتَطَلَّع فقط نحو الله. هذا هو هدفنا وهذا تحديدًا ما يجعلنا مُلْزَمين أنْ نفعلَه وَنَكرُز به في كُلِّ مكان. فإنَّه ليست الملائكة فقط هم الذين يَطَّلِعون على هذا الأمر، بل قبل الملائكة، المُجاهد الذي يُجاهد في طريق الحقِّ.

إذًا ينبغي ألَّا نطلب من آخرينَ أنْ يمتدِحونَا، لأنَّنا حين نلجأ ونُسرع نحو شُركائنا في العبوديَّة لننال منهم المَدح، فإنَّنا نبتعد عن الله، لأنَّ تقديره لنا، لا يَكفينا، وهذا ما يُعتَبَر إهانَةً له. تمامًا مثل أولئك الذين يؤدُّون أدوارهم في مسرحٍ صغير، ويطلبون شيئًا كبيرًا، لأنَّ هذا المَسرح لا يكفيهم لتقديم عرضهم، هكذا أولئك الذين يُجاهدون أمام الله، لأنَّهم عندما يطلبون **مديح الناس**، يَهجرون المديح العظيم، ويستهويهم **المديح الأدنى**، والنتيجة أنَّهم يجذبون إلى أنفسهم **العقاب القاسي**.

وهذا المَسلَك يُثير الفوضى في كُلِّ شيء، ويجعلُ العالَم يرتَجُّ، أي أنَّ هدفنا في كُلِّ شيء نفعله، هو طلب **مديح الناس**، بل ونعتبر كون أنَّ الله هو موضع توقيرنا واندهاشنا - في إطار ممارسة أعمالنا الصالحة - هو أمرٌ بلا قيمة، فنسعى في طلب مديحِ مَن هم شُركاؤُنا في العبوديَّة، بينما نخشى من الناس، ونلجأ إلى الله في اللحظات الصعبة التي نمرُّ بها. إنَّ هؤلآء سيقفون معنا أمام عرش الله، ولن يُقَدِّموا لنا أيَّ فائدة، أي لنْ ينفعونَا في شيء، بينما الله الذي نزدري به الآن، هو الذي سيُدينُنَا. لكنَّنا ونحنُ نُدرِك هذه الأمور جيِّدًا، نقف مشدوهين بِفَمٍ مفتوحٍ أمام الناس، الأمر الذي يُعدُّ **أسوأ خطيَّة** يمكن أنْ يسقطَ فيها إنسانٌ. وعندما يرى أحدٌ أنَّ شخصًا لا يُريد ممارسة **الدعارة** بسبب الحياءِ من الناس، حتى وإن كان بعد يشتعل بشِدَّةٍ بسبب الرغبة الشديدة في ممارسة هذه الخطيَّة، ورغم طُغيان هذه الشهوة، بينما هو لا يستحي من الله الذي يَرى. وليسَ الزُناةُ فقط هم الذين يفعلون هذا، بل وكثيرون ممن تجرَّأوا ويتجرَّأون على ممارسة أمورٍ أكثر رُعبًا منها، فأيُّ خداعٍ للنفسِ هذا؟ أليست هذه الجرأة في حدِّ ذاتها على فعلِ الشرور، كافيةً لأن تجلب علينا من السماء رعودًا شديدة؟ ولماذا أتكلَّم عن الزنى والدعارة؟ لأنَّنا نخشى أن نرتكب ما هو أصغر بكثير من هذه الخطايا أمام الناس، دون أن نخشى على الإطلاق أن نرتكبها أمام الله. ولهذا ابتعدوا عن **كُلِّ الشرور**، لأنَّنا حقًّا لا نخجل من الله عندما نرتكب **أعمالاً شرِّيرة**، بل الخجل يكون من الناس. ومن أجلِ هذا تحديدًا نفقد الخيرات الحقيقيَّة، لأنَّ الكثيرين لا يعتبرونها هكذا، ولا نفحص طبيعة الأمور، بل نتطلَّع إلى آراء الكثيرين.

٤ – إنَّنا نُعاني من نفسِ الأمر بالنسبةِ للشرورِ الأُخرى، فبينما تكون بعض الممارسات غير جيِّدة، بل وشرِّيرة ويعتبرها الكثيرون جيِّدة، فنحنُ أيضًا نسعَى في إثْرِهَا لنفسِ السَّبب، حتى أنَّنَا نُصاب بخسارة مزدوجة، وإذا كان ما قُلته يبدو للكثيرين واضحًا جدًّا، فإنَّ الضرورة تُلزمنا أنْ نقولَه مرَّة أُخرى بأكثر وضوح. يجب أنْ أبدَأ من حيث أشرنا لهذا الموضوع، فعندما نزني فإنَّنا نَخشى الناس، أكثر من خشيتنا من الله، إستَعبَدنا أنفسنا للناسِ بشدَّةٍ، وجعلناهم أسيادًا علينا. ولأنَّ ما نفعله يبدو في أعين البعض شَرًّا، والبعض الآخر ليس كذلك، فإنَّنَا نضطر إلى تجنُّب حتى ما لا يُعتَبر شرورًا. على سبيل المثال: قد يبدو الشخص الذي يعيش في حالةِ فاقة واحتياج، أنَّه سيِّء في نظر الكثيرين، وهكذا نضطر إلى تجنُّب الفقر، لا لأنَّه أمرٌ سيِّء، ولا لأنَّنَا نُؤمن بهذا، بل لأنَّ الفقر كما يرى أسيادنا، يُعَدُّ أمرًا سيِّئًا نحن نخاف هؤلاء.

أيضًا عندما لا ينسب البعض الكرامة لشخصٍ ما، بل ويحتقرونه، خاصَّةً إذا كان **لا** يملك أيَّ قوَّة، فإنَّهُ يبدو أمام الكثيرين، أنَّه موضع احتقار ومهانة. وهذا أيضًا نتجنَّبه، لا لأنَّنَا بالحقِّ ندينه، بل فقط من أجلِ إدانة أسيادنا له. والعكس أيضًا يجلب علينا الهلاك، أي الغِنَى، بما يلازمه من تباهٍ ومجد وحياة رغدة، كُلُّ هذا يُعتبر خيرات. إذًا فنحنُ نسعى في طلبه أيضًا بكُلِّ ما يحمله من افتخارٍ ومجدٍ وحياةٍ رغدة. لا لأنَّنَا نرى أنَّ هذه الأمور هي بالطبيعة أمورٌ جيِّدة، بل لأنَّنَا اقتنعنا برأي أسيادنا فيما يختصُّ بهذه الأمور. أي **أنَّ سيدنا هو العالم وهو سَيِّدٌ قاسٍ وطاغية مُستبد**. إنَّنَا لا ننتظر حتى يأمرنا لكي نُطيع، بل يكفي فقط أنْ نعرفَ ماذا يُريد، وعلى الفور نُطيع دون أنْ يأمرَ، نحنُ نُقَدِّره إلى أقصى حَدٍّ؛ وبرغمِ أنَّ الله يُحذِّرنا يوميًّا ويَنصحنا ويُرشدنا، ومع ذلك لا نسمع له، أمَّا السَّفيه والفوضَوِيّ والذي لا شأنَ له، لا يحتاج حتى لأنْ يأمرنا، بل يكفي فقط بأنْ يُظهِر لنا أيًّا من الأمور التي تُعجبه، وعلى الفورِ نخضع ونُطيع كُلَّ شيء.

وقد يتساءل البعض، وكيف يمكن تجنُّب أحد هؤلاء الأسياد؟ يحدث هذا لو اكتسَبَ المرءُ فِكرًا أسمى من هؤلاء الأسياد، وَفَهِمَ طبيعة الأمور، وإذا ازدرى بآراءِ الآخرين، ودَرَّبَ نفسه - **فيما يخصُّ الأمور الشائنة** - أنْ يخافَ، ليس فقط الناس، بل يخاف ذاك الذي لا تغفل عيناه، بل ويسعى للفوزِ بالأكاليل التي تأتي من الله، نتيجة الأعمال الصالحة. بهذه الطريقة لنْ يحتملَ الخضوع لهؤلاء الأسياد في أيِّ أمر آخر. أي أنَّ ذاكَ الذي يُنجِز شيئًا، عليه ألَّا يعتبر أنَّ أولئك الأسياد مُستحقون أنْ يعرفوا انجازاته، بل يكتفي باختبارِ معرفة الله، ولنْ يلجأ في الحالات الأُخرى إلى أخذِ آراء هؤلاء الأسياد.

وقد يقول أحدٌ، وكيف سيحدث هذا؟ يحدث هذا إذا ما فكَّرتَ **في مَن هو الإنسان**، ومن هو الله، فمن تترك، وإلى مَنْ تتوَجَّه؟ وَسَتُصَحِّح

كُلّ شيء سريعًا، فكُل إنسان خاضع مثلك لنفس الخطيَّة ولنفس الدينونة ونفس الجحيم. الإنسان **فَانٍ** وليس لديه حُكم صائب ومُستقيم، وبناءً على ذلك فهو يحتاج إلى تصحيح من الله. **الإنسان ترابٌ ورماد**، وإنْ حدث وامتدح أحدًا، فإنَّه في مرَّاتٍ كثيرة يمتدحه بِسَطحيَّة، وإن وَشَى واتَّهَمَ أحدًا، فإنَّما يفعل هذا متحركًا أو منطلقًا من نفس الدوافع. أمَّا الله فليس كذلك، بل إنَّ فكرَهُ لا يمكن إدراكه وحُكمه واضح وجَليّ، ولهذا يجب أنْ نلجأ إليه دائمًا، وليس من أجلِ هذا فقط، بل أيضًا: لأنَّه هو الذي خلَقَكَ، وهو الذي يتراءف بِكَ، ويُشفِق عليك أكثر من الجميع، ويُحِبك أكثر من محبَّتك لنفسك.

إذًا لماذا لا نُريدُ أن نجعله موضع إعجابنا، وهو الذي يمتدحنا، ثمَّ نلجأ إلى **الإنسان الفاني والضعيف**؟ وهو الذي يدعوكَ شرِّيرًا وعديم الفائدة، بينما أنتَ لستَ كذلك؟ ولأجلِ هذا يجب أنْ نتراءف به أكثر ولتذرف عليه الدموع، لأنَّه ضائع ولتزدري برأيه، لأنَّ عينيْ ذهنه قد أُصيبتَا بالعمى. كذلك فإنَّ الرُسل قد سمعوا هذه الأمور عينها، لكنَّهم ازدروا بها وسَخِروا منها، بسبب نميمة ووشاية هؤلاء الناس، لكن هل هناك مَن ينصَحُكَ بشيء صالح وحسن؟ فإن كنتَ أنتَ كذلك، فيجب ألَّا تتراخَى وتهدأ، بسبب هذا الرأي، فإنْ لم تَكُن هكذا، فلْتزدرِ بهذا الرأي واعتبر هذا الكلام تَهَكُّمًا وسُخرية.

أُريدُ أن تعرف آراء الآخرين كم هي خاطئة وبلا نفع ومستحقَّة للسُخرية، والتي بعضها يتعلَّق بأُناس مهوسين ومخبولين، والبعض الآخر يتعلَّق بأطفال لازالوا يرضعون؟ إسمع ماذا قيل منذ البداية. سأذكر لك بعض الآراء، وهي ليست آراء العامَّة، بل أيضًا أولئك المعتبرين أنَّهم حُكماء، أي المُشَرِّعُون القُدماء، لأنَّه مَن مِنَ المُمكن أن يُعتبر الأكثر حكمة من بين الكثيرين، من ذاك الذي استَحَقَّ أن يُشَرِّع للكثيرين وللشعوب؟ إنَّ هؤلاء الحُكماء، كانوا يرون أنَّ ممارسة الدعارة، ليست شيئًا قبيحًا على الإطلاق، ولا تستحقُّ العقاب. إذًا لا يوجد قانون للأمم قد عَاقَبَ على ممارسة الدعارة. بل لو أنَّ شخصًا لَجَأَ إلى المحكمة من أجلِ هذه الانحرافات، فسوفَ يسخر منه الناس، ولن يُعاقبه القاضي. أيضًا لو أنَّ أحدًا لَعِبَ النرد (ألعاب القِمار)، فلن يلاحقه هؤلاء بالعِقاب، ولم يُعَاقَبْ أحدٌ مُطلَقًا من قِبَل هؤلاء، بسبب هذه النقائص. أيضًا السُكر والنهم في الطعام، ليس فقط لا يجلبا أي إدانة، بل ويعتبرها الكثيرون، إنجازًا، وبشكلٍ خاص في الموائد العسكريَّة، حيث يُلاحَظ أنَّ هناك مُسابقات كثيرة من أجل الفوزِ بالمركز الأوَّل في التهام أكبر كميَّة من الطعام. إنَّ الذين يُسَلِّمون أنفسهم لسيطرة السُكر، يعتقدون أنَّهم بذلك يكتسبون عقلًا متوازنًا وحكيمًا وجسمًا قويًّا، إلَّا أنَّ ذلك يؤولُ إلى **شلل الجسد وإظلام النفس**. ومع ذلك فليس هناك أحدٌ من هؤلاء المُشرِّعين قد أدان هذه الخطيَّة، ووضع لها عقوبة.

(يتبع في العدد القادم)

من أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم

«إذا لبسنا المسيح، فلن يتخلّى عَنّا أبدًا، بل يُظهر حضوره عبر قداسة وعبر وداعة لا تخيب أبدًا» (حول الرسالة الى اهل رومة، العظة ٢٤:٤).

«أعطاكَ المسيح من الوسائل ما يؤهّلك لتصير شبيهًا به. فلا تجزع من الاقتداء به، بل اجزع، بالعكس، مِنْ ألَّا تصير شبيهًا به» (حول إنجيل متى، العظة ٧٨:٤).

الحجر الثمين

كانت امرأة حكيمة تقطع نهرًا، فعثرت على حجرٍ ثمين، وضعته على الفور في حقيبتها ثم جلست على ضفة النهر كي تتناول وجبتها.

مرَّ بجانبها رجلٌ شحَّاذ، وطلب منها لقمة يأكلها، فلاحظ الحجر الثمين الذي وضعته داخل حقيبتها.

عندما ناولته الطعام تردَّد في أخذِهِ، ثم سألها مُشيرًا إلى الحجر الثمين: ماهٰذا؟!

قالت: حجرٌ ثمين عثرتُ عليه!

سألها: هل تعطيني إياه؟ سينقذني ثمنه من الفقر الذي أعيشه

ناولته الحجر بلا تردد، فأخذَهُ وراح يركض.

بعد بضعة أيام عاد الشَّحاذ إلى المرأة وناولها الحجر قائلًا: لا أريد الحجر، أريد شيئا أثمن منه بكثير!

فقالت: لا أملك أثمن من ذلك الحجر!

فردَّ: بل تملكين، أريد منك أن تمنحيني الشَّيء الذي دفعَكِ لأنْ تعطيني الحجر عندما طلبته بلا أدنى تردُّد!

عزيزي القارئ:

مهما كنت غَنيًّا لا تستطيع أن تعطي غيرك مالم تملُك **خاصة الكرم**.

تلك الخاصة هي أثمن ما تملك، وهي وحدها ـ وليست جواهرك ـ من يُحدِّد هويتّك.

توزَّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرِّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122